الفصل الأول

«بلاد الأندلس من قبل الفتح إلى عصر الإمارة الأموية»

(91-138هـ/709-756م)

1- بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي.
2- مقدمات الفتح.
3- الفتح الحقيقي:
أ- حملة طارق بن زياد (92هـ/711م)
ب- حملة موسى بن نصير.
4- عصر الولاة (91- 138هـ/ 716-756م):
أ- تمصير الأندلس .
ب- معاهدة الفتح .
ج- التنظيم الإداري .
د- التسامح الديني ، مظاهره ونتائجه.
5- غزوات المسلمين في فرنسا:
أ- جغرافية البلاد ووضعها السياسي .
ب- غزو المسلمين جنوب فرنسا والتوسع في أوروبا .
ج- معركة تور (بلاط الشهداء) .
د- عقبه بن الحجاج السلولي (116-123هـ/ 734-740م) .
هـ- أبو الأخطار حسام ضرار الكلبي (125-133هـ/742-750م).

الفصل الأول

1- بلاد الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

كانت شبه الجزيرة الأيبيرية (أسبانيا والبرتغال) قبل الفتح الإسلامي تحت حكم القوط الغربيين وقد بدا احتلال القوط لها في أوائل القرن الخامس الميلادي، بعد طردهم للوندال - إحدى القبائل الجرمانية المتبربرة- ومن اسم الوندال جاء اسم الأندلس[1] ثم اتجه الوندال إلي احتلال الشمال الإفريقي وطردوا منها على يد الرومان سنة 534م .

استبداد القوط بالحكم، لاسيما قبل الفتح الإسلامي، ولسوء سياستهم ساءت حالة أسبانيا واضطربت حياة سكانها بالفوضى المنتشرة بين الناس الذين يعيشون في شقاء لسوء الأحوال المعيشة ولسياسة الاستغلال، فكان الشعب يُستغل لحساب الطبقة الحاكمة والمترفة وأصحاب المصالح، يضاف إلى ذلك الصراع الدائر بين الطبقة الحاكمة، والشعب الاسباني - مثل غيره من الشعوب الأوربية – مقسم إلى عدة طبقات هضمت حقوقها، مع وجود الفوارق الطبقية، فلا يحظى بالعيشة المترفة إلا طبقة معينة حصلت على امتيازات،والأسرة المالكة بيدها كل شيء دون الشعب الذي يلاقى الإهمال والظلم، ففرض عليه الضرائب والتكاليف[2].وقد انقسم المجتمع الأسباني إلي عدة طبقات:

1- طبقة رجال الكنيسة: هذه الطبقة كانت تسيطر على أكبر نسبة من الأراضي الزراعية المعفاة من الضرائب إلى جانب إنها كانت تتدخل في كافة شئون الحكم.

2- طبقة النبلاء: وهم ينحدرون من القوط وكانوا ستحوزون على باقي الأراضي الزراعية الخصبة والمعفاة من المكوس، إلى جانب تقاسمهم المناصب العسكرية وشئون البلاد.

3-طبقة الأقنان: وهم المعروفون بـ (عبيد الأرض) وهؤلاء كانوا يقومون على خدمة أراضي كبار الملاك من قوط ونبلاء ورجال الكنيسة وكان هؤلاء يرون إن الأقنان جزء من ثروتهم فإذا انتقلت الأرض إلي مالك آخر ينتقل أولئك العبيد إلي المالك الجديد، إلى جانب كونهم محرومون من كافة الحقوق.

4-طبقة التجار وصغار الملاك: وهؤلاء يقع على عاتقهم أداء الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهلهم حيث تذهب ضرائب هؤلاء إلى السلطة الحاكمة.

5-طبقة العبيد: وهؤلاء يمثلون الأغلبية العظمة ،ومصدر هؤلاء الحروب لذلك يخضعون للبيع والشراء، وكان عملهم في الحرف والصناعات المختلفة وهؤلاء لا يختلفون عن الأقنان.
6-طبقة اليهود: وهؤلاء كانوا يسيطرون على اقتصاد البلاد حيث يشتغلون بالتجارة الخارجية ، ساعدتهم معرفتهم بعدة لغات إلى جانب اللغة العربية، كما عمل اليهود في التجارة الداخلية مستخدمين عدة طرق للربح السريع مثل المضاربة وأنواع عدة من البيوع التي حرمها التشريع الإسلامي، وقد أحس الحاكمون بواطنتهم واستغلالهم لموارد الدولة فكان نصيبهم الاضطهاد من الحكام والتضييق عليهم(3).

لا يوفر هذا الوضع – دون شك – الاستقرار ولا العدالة الاجتماعية، ومن هنا كانت الطبقات المنتجة في المجتمع محرومة من كثير من حقوقها، إلى جانب أن هذا الوضع ينتشر فيه الفساد المؤامرات والدسائس وفعلا حتل أمور الدولة حيث قام أحد الجنود بانقلاب ضد الملك غيطشه ووصل إلى كرسي السلطة ولكن سرعان ما اغتيل(4) قبل الفتح الإسلامي لأسبانيا بسنة أو تزيد،كما قام أحد رجال الجيش وأسمه لذريق بالاستيلاء على السلطة وعزل الملك غيطشة(5) وغداة الفتح الإسلامي كان لذريق هو حاكم البلاد، لكن أتباع الملك السابق ومؤيديه وأفراد أسرته لم يرضوا عن هذا الحاكم الجديد وكانوا يتحينون الفرصة لاستعادة ملكهم ووجدوها في الفتح الإسلامي، ووهموا أن المسلمين طلاب غنائم، فسوف لا يستقرون في أسبانيا لكنهم لم يجدوا لهذا الوهم إشارة، فالمسلمون حملة عقيدة يعملون على نشرها وإعلائها.

كانت أسبانيا قبل الفتح الإسلامي تشكو الإضراب والفساد الاجتماعي والتأخر الاقتصادي وعدم الاستقرار نتيجة السياسة ونظام المجتمع السائد لكن هذا لا يعنى أن هذه السلطة لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها، كما لا يعني انعدام قوتها السياسية والعسكرية، بل كان بإمكانها أن تصد جيشاً مهاجما وتحاربه وتقف في وجهه، أقام القوط دولة اعتبرت اقوي دول الممالك الجرمانية في أوائل القرن الخامس الميلادي(6)،ورغم ذلك تأصلت المسيحية في أسبانيا ولم يبدأ القرن السادس حتى انتشرت الأديرة المشتغلة بالعلم، وقد اشتهر القس القوطي ماسونا(571م) بنزعاته الإنسانية واجتهاده، وكذلك القديس ولباندور(603م) الذي ترك آثارا فكرية طيبة (7).

وأكبر شخصيات هذا العصر مكاناً أبقاها أثراً في مستقبل البلاد الثقافي هو القديس ايزيدور الاشبيلي، ولم يكن كاتباً دينيا فحسب بل كان مصنفاً موسوعياً وهو يعد من كبار الكتاب والمفكرين المسيحيين، ومؤلفاته تعتبر ثروة عظيمة من الأفكار اليونانية والرومانية وفلسفة المسيحية الأولى.

2- مقدمات الفتح:

يعتبر الفتح العربي لأسبانيا من أهم أحداث التاريخ القومي الاسباني في العصور الوسطى، بل من أهم أحداث التاريخ العالمي كله، الذي يسترعى عادة أنظار المؤرخين فيقفون عنده ويفسرون أحداثه ولم يختلف المؤرخون في بداية فتح الأندلس ،وتتبادر إلي الأذهان أسئلة كثيرة في حاجة إلى إجابة شافية هل كان الفتح مبيتاً؟ هل كان عملاً مدبراً؟ هل تم بتحريض معين؟ ما هي غاياته وأهدافه؟ وتتوقف الإجابة على هذه الأسئلة على معرفة حقيقة العلاقات بين القوات العربية وبين الكونت جوليان صاحب سبته من ناحية وبين أبناء الملك غيطشة من ناحية أخري(8) وقد حاول بعض الدارسين أن يشككوا في شخصية جوليان هذا وأن يعتبروا أخباره ضربا من الخرافة ،غير أن الدراسات الحديثة ألقت أضواء على هذه الشخصية التاريخية التي لعبت دوراً كبيراً في مصير أسبانيا في القرن الثامن الميلادي .

واستطاعت أبحاث كل من دوزى وكوديرا وبروفنسال أن تبين أن جوليان هذا كان وجوده حقيقة، وانه كان يتولى منطقة سبته منذ أيام عقبه بن نافع الفهري وأن عقبه صالحة وأبقاه على سلطانه في البلاد، ولم يكن جوليان هذا عاملا قوطياً إنما كان عاملاً بيزنطياً على منطقة سبته، كانت تربطه صلة من المودة بالقبائل المغربية المقيمة حول سبته من ناحية وبحكام القوط في أسبانيا من ناحية أخرى.

والمراجع العربية تخلع على أخبار جوليان هذا طابع القصة وتتحدث عن ابنته التي عاشت في بلاط القوط زمناً، وما كان من إساءة لذريق إليها وما جره ذلك من حقد جوليان ورغبته المبيتة في الانتقام،وأن هذه الرغبة دفعته إلي أن يرحل للقيروان ليقابل موسى بن نصير ويحرضه على فتح الأندلس، وان جوليان بعد هذا أخذ يغزو سواحل الأندلس(10)والمؤرخون الأسبان يعترفون بحملات جوليان وغاراته على سواحل الأندلس، ولكنهم ليردونها إلى اتفاقه مع موسى بل يقولون أنها استجابة للنداء الذي وجهه الملك المخلوع أخيلا، ويعرض

المؤرخون لأبناء غيطشة ويذكرون أن لذريق بعد أن مات غيطشة تتبع أولاده وأنصاره بالأذى ففروا يطلبون النجاة، سواء أكان هؤلاء الأبناء قد عبروا إلي إفريقيا بأنفسهم ليطلبوا عون العرب أم اختفوا في بعض نواحي الأندلس وأرسلوا رسولاً يبسط للعرب أحوال أسبانيا، فإن الحقيقة التي تلخص لنا هذا كله هي أن أولاد غيطشة أيدوا العرب منذ البداية الأولي، وأنهم دبروا المكيدة للذريق واتفقوا على أن يخونوه يوم المعركة الفاصلة مع العرب ليأخذوا بثارهم[11].

ونحن لا نستبعد اتصال العرب بصاحب سبتة أو بأبناء الملك غيطشة وإنما الذي يجب أن نؤكده أن العرب فكروا في فتح الأندلس، فقد انتهوا من المغرب الأقصى وأرادوا أن يستفيدوا من هذه الطاقات البشرية الكبري التي توافرت لهم بعد هذا الفتح، وان هذا التفكير لم يكن بتحريض من هؤلاء أو هؤلاء للان العرب لم يكونوا بحاجة إلي أن يحرضهم أحد على الجهاد وإنما الذي حدث في فتح الأندلس حدث مثله في بلاد الشام والعراق ومصر من قبل وهو محاولة العرب الاستفادة من الانقسامات الداخلية في البلاد ليضمنوا النصر لأنفسهم[12].

وكانت بداية فتح الأندلس أيضاً وفقاً للسياسة العربية التقليدية وهى استشارة الخليفة في بداية عمليات الفتح، ثم بداية الغارات الخاطفة التي تسمى بالغارات الثغرية حتى إذا استوثق العرب من النصر كانت البداية الجدية للفتح بدأت الغارات الثغرية أو غارات جس النبض عام91هـ/709م حين كتب الخليفة الوليد بن عبد الملك إلي موسى بن نصير يأمره أن يختبر بلاد الأندلس بسرية صغيرة، فكانت الحملة المعروفة بقيادة طريف بن مالك، عبر البحر إلي الأندلس في قوة صغيرة من أربعمائة فارس وقدم جوليان أربع سفن ونزل المسلمون في موقع على الساحل الجنوبي للبلاد[13].

وحدث ما كان بحسبان العرب، فقد خف إليهم أنصار جوليان وغيطشة لمعونتهم، قام طريف بسلسلتين من الغارات الخاطفة وغنم فيها غنائم كثيرة ثم عاد إلي بلاد المغرب مرة أخرى بعد أن حققت الحملة أهدافها وبينت للعرب الضعف الحقيقي في الجبهة الداخلية والإخلاص الحقيقي لأنصار العرب في البلاد[14].

3-الفتح الحقيقي حملة طارق بن زياد (92هـ/711م):

الفصل الأول

كان طارق بن زياد من بربر المغرب الأقصى أسلم أبوه أيام عقبه بن نافع وحسن إسلامه وعمل طارق في خدمة الولاة المسلمين، وكان من أشد الضباط قربا من موسى بن نصير، لأنه تخطى غيره من كبار العرب، وعمد إليه قيادة أخطر عمل حربي في تاريخ التقدم العربي في حوض البحر المتوسط[15] ولم تكن هذه المحاولة العربية الأولى بغير هدف إنما كان العرب قد وضعوا لأنفسهم خطة عسكرية واضحة بداوا ينفذونها خطوة خطوة، أريد لهذه الحملة الأولى أن تحقق هدفاً أساسياً لا ينجح الفتح إلا بدونها وهو إنشاء رأس جسر في الجانب الاسباني من مضيق جبل طارق يصبح قاعدة صالحة للتوغل في البلاد، ويستطيع المسلمون أن يدافعوا عنه إذا دهمهم العدو، كما يمكنهم من تأمين طرق مواصلاتهم مع الشاطئ الإفريقي وقد اتجهت جهود طارق إلي تحقيق هذا الهدف الأول، فقد تجمع المسلمون عند الجبل الذي عرف باسم جبل طارق وحصن الموقع تحصينا طيبا ثم بدأ توسع رأس الجسر بالاستيلاء على منطقة الجزيرة الخضراء المجاورة لجبل طارق، وأصبح المضيق كله في يد المسلمين بل أصبح في استطاعتهم أن يدفعوا عنه كيد العدو، فقد صدوا إحدى غارات القوط على مواقعهم[16].

كان طبيعياً أن يتجه الفتح العربي إلى تحقيق المرحلة التالية من مراحل الفتح وأن ينصرف العرب من سياسة الدفاع إلي الهجوم، وأن يكون رأس الجسر هذا قاعدة صالحة للمضي بالغزو قدما ،وقد وضح هذا الاتجاه عند المسلمين بعد أن أمنوا غارات العدو عندما وصلتهم الإمدادات في الوقت المناسب، فقد مكنوا الفاتحين من بدء العمليات العسكرية الناجحة فبدا تحركهم الواضح صوب الشمال ويبدو إن وادي لكة(17) هذا أصبح موضعا لأكبر معركة حربية في تاريخ الفتح كله عرفت أحياناً باسم معركة وادي لكة وأحياناً أخرى باسم معركة البحيرة[18] وقد تقدم لذريق ليلقى العرب في نفس الموضع الذي اختاروه للقتال، وتقدر المراجع عدد جيشه بمائة ألف وربما كان في هذا التقدير مبالغة ولكن الذي لاشك فيه أن عدد جيشه كان أضعاف جيش المسلمين، وكان عدد الفرسان فيه عظيماً (19)وقد لعب أنصار جوليان وغيطشة دوراً هاماً في هذا اليوم في تفريق أنصار ملك القوط، وقد خانه الفرسان في ساعة المعركة فهزم وفر على أعقابه متكبداً خسائر فادحة، وأحرز العرب نصراً عظيماً في هذا اللقاء الأول.

وكانت معركة وادي لكة عام (92هـ/711م) من معارك التاريخ الإسلامي الفاصلة ومن حسن حظ المسلمين أنهم يحرزون النصر في معارك حاسمة في مستهل النضال ترجح الكفة في جانبهم وهذه المعركة أشبه بمعركة اليرموك في الشام أو القادسية في العراق أو بابليون في مصر إذن لم يكن جند طارق مجرد غزاة يسلبون وينهبون ثم يعودون[20].

ترك هذا النصر أثرا عظيما في معنويات المسلمين زادهم رغبة في الفتح واستبسالا في النضال وأظهر لهم نقط الضعف واضحة في جسم أمه القوط وجرا أعداء القوط في الانضمام إلى جانب العرب وقد ظهر تأييد اليهود واضحاً بعد هذا النصر الكبير فوقفوا إلي جانب المسلمين وساعدوهم في علميات الفتح مرحلة بعد أخرى ولا يخفى ما تركه هذا النصر من أثر عظيم في بربر المغرب الأقصى فقد بدأت قواتهم تعبر البحر في جموع غفيرة لتنال شرف الانضمام لهذا الجيش المظفر، وقد بلغ طارق من القوة حداً جعله ينظم حملات صغرى تمضى إلى التوغل في إرجاء البلاد بينما التيار الأعظم الجارف يمشى في طريقه قدماً فقد عمد طارق في ذلك الوقت إلي إرسال حملة يقود ها مغيث الرومي بقصد الاستيلاء على قرطبة، أما هو فقد مضى مباشرة ليقتطف ثمرة النصر العاجلة، فدخل طليطلة عاصمة القوط ومركز الكاثوليكية في شبه الجزيرة الأيبيرية دون مقاومة ويشبه هذا بعض المؤرخين دخول المسلمين طليطلة بدخول العرب بيت المقدس علم 25هـ/645م(21).

ب-حملة موسى بن نصير (93هـ/712م):

ثم قدر لحركة الفتح التي تستمد القوة من ينبوع آخر يكفل لها أن تمضي إلى غايتها المرسومة، ذلك أن طارق أوغل بسرعة صوب الشمال متجها إلي طليطلة، وبقيت أقاليم كثيرة في الشرق والغرب في حاجة إلى جهود حقيقية خصوصاً بعد أن تكشف لأنصار غيطشة أن العرب يريدون البقاء ويريدون الاستمرار في الوقت الذي تجمعت فيه بقايا المقاومة تريد أن تبذل مجهوداً أخيراً قبل أن تنتهي .

فقد قدم موس بن نصير إلى البلاد بنفسه سنة 93هـ/711م وعبر البحر ومعه نحو من 18ألف من خيرة جند العرب القيسية واليمانية ومعهم أبناؤهم ومواليهم وعدد من كبار العرب والتابعين، نزل موسي عند جبل طارق وتقدم إلى الجزيرة الخضراء[22] وقد وجدنا موسى يبدأ موجة جديدة من الفتح متطرقا

الفصل الأول

إلي المواضع التي لم يدخلها العرب، فقد سلك طريقا أخر غير الطريق الذي سلكه طارق فاستولى على مدن شزونة ثم قرمونة ثم حاصر مدينة أشبيلية بضعة شهور، ثم وصل طليطلة في غيبة طارق والتقى به عند ماردة[23]، وكان هذا اللقاء مدبراً، فقد جاء في وقت كان المسلمون فيه بحاجة إلى أكبر قدر من التضامن وإلا ضاعت مكاسبهم كلها، فقد كانت فلول القوط تتجمع للقيام بمحاولة أخيرة بين وادي أنه ونهر التاجة في وقت أشتد فيه تيار المعارضة خصوصا بعد أن أيقن غيطشة والطامعون في العرش أن العرب سيبقون وأنهم لم يجيئوا لعزل الملك وإقامة آخر، فقد أعلن موسى أن البلاد كلها ملك للخليفة، ونكب الطامعون في أمالهم ومن ثم بدأت المقاومة للفتح تتخذ طابعاً أخر، وبدا المسلمون يغيرون من سياستهم القديمة فبدئوا يعمدون إلي الشدة والبطش تمشيا مع عنف المقاومة وشدتها خصوصاً بعد قضائهم على المقاومة الأخيرة التي بذلها لذريق[24].

وقد سارت جيوش الفتح إلى الشمال حتى سرقسطة ثم اندفعت وراء المقاومة صوب الشمالي الغربي حتى ليزعم المؤرخون أن موسى بن نصير لم يكن ليقف عند حد وأنه إنما جاء الأندلس ليخترق جبال البرانس في طريقة نحو القسطنطينية وقد يئس المسلمون من القتال في هذه القفار الموحشة التي يسكنها شعب الباسك وأيقنوا أن المقاومة اختفت تماماً، ولو عرفوا أن هذه البلاد النائية ستشهد ميلاد المقاومة المسيحية للحكم العربي كله وأنها ستكون نواة تكبر مع الأجيال مطالبة بالثأر حتى تطرد العرب من البلاد نهائياً ، ولعرفوا هذا المصير لما تركوا في هذه البلاد أحداً من الأحياء، وعند هذا الحد من الفتح عاد موسى وطارق إلى دمشق ودخلها موسى دخول الفاتحين يحمل معه من الغنائم والأسلاب ما لم يشهده العرب منذ فتح العراق[25] ولكن هذا الفتح لم يلق من الخليفة سليمان بن عبد الملك إلا الجحود وقضى بقية عمرة ذليلاً مغموراً ومات مغموماً، ويبدو أن طارق لقي نفس المصير المجهول، وقد كان موسى في الحقيقة من أعلام الإسلام، فتح فتوحا تضعه في الصف الأول من رجالات الإسلام الأوائل، فهو واضع أسلس ما أدركه المسلمون من سلطان وحضارة في غرب البحر الأبيض المتوسط لأنه لو لم يفتح الأندلس لأستمر المغرب مهددا بأفدح الأخطار.

وقدر لعبد العزيز بن موسى بن نصير أن يتم ما بداه أبوه، وان يؤدى في بلاد الأندلس ما أداه أبوه في المغرب الأقصى من قبل، وأن يهيئ هذه البلاد لتصبح ولاية إسلامية تخضع لخلفاء المشرق، وقد أتم عبد العزيز فتح بلاد

الأندلس، وقد لاحظنا كيف ترك موسى وطارق شرق الأندلس الممتد على طول الساحل حتى مدينة برشلونة دون فتح، غير أن عبد العزيز أتم ذلك كله وصالح شريفا قوطيا من أنصار العرب أسمه تدمير على ما بيده من البلاد وعقد معه معاهدة[26].

وقد جعلت هذه المعاهدة هذا الإقليم كله تحت إشراف العرب المباشر واعترفت بتدمير هذا عاملا يحكم البلاد باسم المسلمون وينفذ سياستهم، وقد لجأ عبد العزيز إلي المسالمة والتهدئة حتى تستقر البلاد ويهدأ أهلها ويعرفوا من العرب سياستهم الحقيقية وسماحتهم التقليدية حتى ليضعه المؤرخون من هذه الناحية في صف موسى بن نصير وحسان بن النعمان، وقد كان عبد العزيز ميالا إلى أهل البلاد حريصا على التقرب منهم واكتساب ودهم وقد تزوج من امرأة قوطية تطلق عليها النصوص العربية أسم أم عاصم، وقد سكن معها في جانب من كنيسة القديسة روينا، وقلده الكثير من القواد وزعماء الجند ليضعوا بذلك أساس جيل المولين الذين سيكون لهم شأن في تاريخ الأندلس فيما بعد[27].

4-عصر الولاة (91-138هـ) /716-756م):

أتم عبد العزيز بن موسى فتح البلاد كلها ثم اغتيل في مسجد اشبيلية عام 95هـ/716م وولي جند الأندلس أيوب بن حبيب اللخمي على البلاد فكان أول الولاة الأندلسيين[28] وبولايته يبدأ عهد جديد في تاريخ الأندلس الإسلامية هو عهد الولاة الذي استمر حتى 138هـ/756م وهي السنة التي استطاع فيها عبد الرحمن بن معاوية الداخل أن يؤسس الإمارة الأموية، فهو إذن من أقصر عهود الولاة التي عرفها تاريخ الأمصار الإسلامية فلم يدم أكثر من أربعين سنة على حين أمتد عصر الولاة في مصر مثلاً حتى سنة 254هـ/868م وقد تعاقب على حكم الأندلس في هذه الفترة عدد كبير من الولاة بعضهم تولي من قبل خلفاء المشرق مباشرة والبعض الآخر من قبل ولاة أفريقية وبعضهم أختاره الجند وأقرته الخلافة،وهذه الفترة على قصرها في غاية الأهمية ففيها وضع الأساس للكثير من المقومات التي قام عليها حكم المسلمين بل نشأت فيها أصول المتاعب والخلافات التي صاحبت الحكم الإسلامي إلى أخر العهد به[29].

رغم هذه الأهمية كان هذا العصر غامضة أخباره إلى ابعد الحدود فإنه لم يلق من المؤرخين العرب عناية كبيرة، فقد عالج العرب الكتابة التاريخية في وقت متأخر، فلما كتبوا التاريخ كانت قد بعدت الشقة وضاعت أغلب معالم

الفصل الأول

الإحداث ولم يكن العرب في البلاد قد طال بهم المقام إلا هذه السنين القصيرة الحافلة بالمشاكل والمتاعب، فلم تترك أثارا ذات بال يمكن الاعتماد عليها للتثبيت من الحقائق التاريخية ولعل ندرة هذه الأخبار هي التي جعلت مؤرخا كبيراً مثل ليفي بروفنسال لا يكتب عن هذا العصر إلا القليل كما أوقعت بعض المحدثين في كثير من التأويلات غير الصحيحة والمتناقضة.

وقد يظل هذا العصر لغزاً غامضاً في تاريخ الأندلس ما لم يدرس دراسة مقارنه بغيره من عصور الولاة التي مرت بها جميع الأمصار الإسلامية في أعقاب الفتح وفي ضوء التطورات العامة التي اشرنا إليها. على كل حال نريد في لمحة سريعة أن نتحدث عن طابع العصر من الناحية السياسية واتجاهاته ومشاكله وظروفه ثم نتعرض بقدر الإمكان لطابع الثقافة العربية فيه ومدى التقائها بالثقافات الموجودة في البلاد على كل حال سنتعرض للموضوعات الآتية بالترتيب:

1- كيف عمل الولاة العرب في هذا العصر على تمصير البلاد وتطبيق المثل السابقة.

2- اشتعال نار العصبية العربية في بلاد الأندلس ثم النزاع بين العرب والبربر وأثر هذا النزاع في تاريخ الأندلس وحضارتها.

3- ميلاد الحياة الثقافية في البلاد.

أ- تمصير الأندلس :

لدراسة هذه الناحية العامة يجب أن تعرف أن الحكم في الإسلام ليس غاية إنما هو وسيلة لتحقيق أهداف معينة وسيلة لنشر الإسلام وتطبيق المثل الإسلامية، وعصر الولاة دائما هو ميدان هذه التجربة الهامة في الحياة الإسلامية تجربة تطبيق المبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويتوقف بقاء الإسلام ونجاح الدعوة على سلوك هؤلاء الولاة ومطابقتهم مابين المثالية والواقعية وكسب رضا الشعوب التي رضخت للحكم العربي ودخلت في طاعة المسلمين.

وتسمى هذه السياسة الإسلامية عادة باسم سياسة التمصير، وتمصير الأندلس إذن معنا ه تحويله إلى مصر إسلامي يستهدى تعاليم الإسلام في حياته وتقاليده ونظمه وسياسة التمصير تقوم على أسس واضحة: أن يعامل الداخلون في الإسلام معاملة قوامها الإخاء والمساواة والحرية وأن يأخذوا نصيبهم

الطبيعي في حكم البلاد والاشتراك في الحياة السياسية[30] معاملة خاصة لأهل الذمة اللذين دانوا للإسلام بالطاعة، وارتبطوا بالحكم العربي باتفاقيات ومعاهدات ،ودفع الجزية التي هي مقابل اضطلاع المسلمين بالدفاع عنهم وإبقائهم على أوضاعهم القديمة وتحفظ عليهم دينهم وتصون حرمة أموالهم وتمنحهم قدراً كبيراً من الحريات المدينة والاجتماعية، وتطبيق مبادئ اقتصادية معينة نابعة من تعاليم الإسلام كنظرية الإسلام في ملكية الأرض والتنظيم الإسلامي للخراج والعطاء والضرائب الأخرى ووجوه الإنفاق. وقد تتضمن هذه السياسة تنظيما إداريا معينا ومعاملة خاصة للولاة وتنظيمه للقضاء والجيش والإبقاء على بعض التنظيمات الإدارية، وقد ظهرت هذه التقاليد الإسلامية في الحكم منذ فجر الدعوة إلي خارج بلاد العرب بعد تكوين الدولة العالمية الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، ويتبين هذا من دراسة السياسة الإسلامية في مصر والشام والعراق وإيران، بل يستدل على هذه السياسة من المصادر المسيحية المعاصرة ومن أوراق البردي الإسلامية، ومن المعاهدات أو عهود الصلح التي كتبها العرب مع المدن التي استسلمت لهم: مثل معاهدة مصر ومعاهدة بيت المقدس ومعاهدة الحيرة ومعاهدة الإسكندرية، ونحن نريد أن نتأمل في أخبار الأندلس في عصر الولاة هل طبق العرب في البلاد نفس هذه المبادئ التي طبقت في الأمصار الأخرى[31].

ب- معاهدة الفتح:

يذكر المؤرخون أن العرب أثناء الفتح ارتبطوا بكل ناحية من نواحي الأندلس بمعاهدة خاصة، وان هذه المعاهدات اختلفت فيما بينها في الصياغة وفي بعض التفاصيل وإذا كانت قد اتفقت في الروح والأسس، فمن حسن الحظ أنه بين أيدينا الآن معاهدة عبد العزيز بن موسى النصير مع تدمير حاكم شرق الأندلس، وقد احتفظت المصادر بنص هذا الصلح، أورد الضبي نصه العربي، وأورد الرازي صورة أسبانية منه وترجمة ميخائيل الغزيري إلى اللاتينه أثبته في فهرسة المعروف للمخطوطات العربية في الاسكوريال[32] وهذه المعاهدة تتفق مع الروح الإسلامية التي تجلت في معاهدة الصلح التي عقدت زمن الخلفاء الراشدين، ولأهميتها نورد نصها فيما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

من عبد العزيز إلي تدمير انه نزل على الصلح وأن له عهد الله وذمته أنه لا ينزع منه ملكاً ولا أحداً من النصارى عن أملاكه وإنهم لا يقتلون ولا يسبون أولادهم ولا نساؤهم ولا يكرهون دينهم وإلا تحترق كنائسهم ما تعبد وما نصح، وأن الذي اشترط عليه أنه صالح على سبع مدائن.....وأنه لا يأوي لنا عدواً ولا يخون لنا أمنا ولا يكتم خبرا علمه وان عليه وعلى أصحابه دينار كل سنة وأربعة أمداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة أقساط خل وقسط عسل وقسط زيت وعلى العبد نصف ذلك . كتب في رجب سنة 94هـ وشهد على ذلك عثمان بن أبى عبده الفهري، وحبيب بن عبيدة الفهي وعبد الله بن ميسرة الفهري. وقد تضمنت المعاهدة المبادئ الآتية: -

1- أن يحتفظ تدمير بسلطاته القديمة.
2- أن لا يؤسر جنده ولا يقتلون.
3- أن لإيحال بين الأطفال وأمهاتهم.
4- إن تصان كنائسهم.
5-أن لا يأووا عدواً.
6- أن يدفعوا الجزية والخراج.

والواضح أن هذه المعاهدة لا تكاد تختلف في روحها وفي ميدانها عن المعاهدات التي ألفناها في الحكم العربي في مصر وفي غيرها من البلاد كما يبدو لنا من دراسة تاريخ الحكم الإسلامي في الأندلس في عصر الولاة . أن العرب مضوا إلي ابعد ما رسمته هذه المعاهدة في تطبيق هذه السياسة وحسن معاملة أهل البلاد بنفس الروح التي عومل بها أهل مصر ويمكننا أن نتلمس ذلك في النواحي الآتية:

جـ - التنظيم الإداري:

ابقي العرب لأهل البلاد الأصليين شرائعهم وقضاتهم بل عينوا لهم حكاما من أنفسهم يديرون المقاطعات ويجمعون الضرائب ويفصلون في الإحكام ، ولكن العرب احتفظوا بغالبية الرجال القدامى من أهل البلاد، وهى نفس السياسة العربية التي سار عليها العرب في جميع البلاد، في الوقت الذي احتفظوا لأنفسهم بوظائف السلطة العليا:مثل وظيفة الوالي وصاحب الشرطة وصاحب الخراج والبريد والقاضي واحتفظوا أيضا بالتقسيم الإداري للبلاد كما هو دون تغيير قسمت أسبانيا في ضوء تقسيمها القديم أيام الرومان والقوط وإن كان

العرب قدا أدخلوا بعض التقسيمات الإدارية الصغيرة تيسيرا لضبط الأمن وربط المال إلا أن المعاصرين للحكم العربي الأول لم يحسوا بتغيير يذكر في حكومة البلاد[33].

د- التسامح الديني، مظاهره ونتائجه:

أبقي المسلمون للمسحيين حريتهم الدينية كاملة مقابل دفع الجزية والخراج على ما تقضي به الشريعة الإسلامية وسووا بين المسيحيين كافة في هذه الحقوق،وامتدت مظاهر هذا التسامح فشملت الممتلكات ،فلم يمس المسلمون إلا ما كان ملكا لبيت لذرق وترك الباقي بيد من يزرعونه، وتركوا أحرارا ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوا ما داموا على الطاعة وظلوا يفصلون في أقضيتهم وفقا للنظام القوطي[34].

وظلت علاقة المسيحيين بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت، بل ترك العرب للجماعات النصرانية نشاطها المدني الذي كانت جارية عليه أيام القوط ولم يعترض العرب في كثير أو قليل لنظام البلديات الذي وجوده في البلاد وتركت المدن كما كانت حرة تنظم أمورها كما يريد أهلها، بل وضع المسلمون حدا للاضطهادات الدينية التي شاعت في حياة البلاد في الفترة الأخيرة من حكم القوط تركوا للمذاهب المختلفة الفرصة لتحيا من غير خوف المجادلة بالمنطق والرأي، أما التعذيب والإكراه فلم يعرف إلي قلوب العرب سبيلاً والمؤرخ أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام ينكر أنه لم يسمع بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد على الأقل في هذا العصر الإسلامي الأول.

وقد لقيت هذه السياسة تأييدا من أهل البلاد فلم تشهد الأندلس طوال القرن الثاني الهجري ثورة واحدة على الحكم العربي[35] حتى قيل أن الذين هاجروا إلى الأراضي الفرنسية خوفا من العرب تمنوا لو عادوا إلى أوطانهم مرة أخرى ورجال الدين أنفسهم ومؤرخو الكنيسة يعترفون بهذه السياسة السمحة، فها هو القديس بونيفاس المعاصر يرى في الحكم الإسلامي يد العدالة الإلهية التي اقتصت من القوط ومظالمهم[36].

وقد امتدت سياسة التسامح إلي اليهود فنعموا بالحرية كاملة وفتحت أمامهم ميادين الحياة الاقتصادية دون منافس، بل عهد الحكام العرب إليهم بالمهام الدبلوماسية وتولوا المناصب الإدارية والمالية ونالوا من العرب بمثل ما نال الأقباط في مصر[37] والوثائق العربية المعاصرة تطلق على النصارى

واليهود اسم أهل الذمة[38]، ثم أصبح هذا الاسم يطلق على اليهود وحدهم، أما النصارى فقد اتخذوا أحياناً اسم العجم وأحياناً أخرى اسم المعاهدين نسبة إلى العهود التي أخذوها من الحكام العرب(39).

ويذكر بروفنسال أنهم اتخذوا اسم المستعربين[40] ويعلق الدكتور حسين مؤنس على ذلك فيقول: أن اسم المستعربين ظهر في العقود الجارية بين الناس أبتداءاً من القرن الحادي عشر الميلادي، كما ظهر في الوثائق المسيحية المكتوبة باللاتينية أو الاسبانية في نفس الوقت تقريباً، وإنها كما أطلق ملوك النصارى على نصارى الأندلس الذين دخلوا في طاعة المسلمين تمييزا لهم عن رعاياهم ، وكان لهؤلاء المستعربين طقوسهم الدينية الخاصة ولهم رجال دين خاصين بهم يقيمون صلواتهم على أسلوب خاص، ويستخلص من هذا أن الاستغراب كان يسبق الإسلام في بعض الأحيان أو في أكثرها، وأن النصارى الأندلسيين اختلطوا بالمسلمين فتعلموا لغتهم وأسلوبهم في الحياة وكان كثيرا منهم يجيدون اللغة العربية إجادة تامة[41].

والحكم الإسلامي في الأندلس لم يكن مجرد ثورة دينية فصلت أهل البلاد عن ماضيهم البغيض، إنما تضمن انقلاباً اقتصادياً بعيد الأثر، فقد أدى إلي تخفيف الضرائب وتبسيطها فهي لن تعد ضريبة الجزية والخراج والعشور كما طبقت المساواة في جباية الضرائب وفرضها في ميدان الجزية طبق الولاة العرب في الأندلس أحكام الإسلام وفق ما حدده قول الله سبحانه وتعالى:(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[42] ويرى بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، أن الجزية كفعلة من جزي فلانا ما عليه ، والجزية مثل القعدة والجلسة، ومعنى الكلام حتى يعطوا الجزية التي يدفعونها للمسلمين عنهم[43] وإعطاء الجزية بدلا عن القتال[44] وسميت جزية لأنهم يجزون بها جزاء تأمينهم في دار الإسلام وحمايتهم والدفاع عنهم[45] ولا ينقض عهدهم طالما أنهم يوفون بما اشترط عليهم من أداء جزية معينة، وطالما أنهم لا ينكرون كتاب الله بطعن فيه ولا تحريف له، ولا ينكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء ولا ينكرون دين الإسلام بزم له ولا قدح فيه، ولا يصيبون مسلمة بزنا ولا بأثم نكاح، ولا يفتنون مسلماً عن دينه، ولا يعرضون لماله ولا دينه، ولا يعينون أهل الحرب على المسلمين[46].

هذه حقوق عليهم، كما كان لهم حقوق مارسوها في بلاد الأندلس مثل ترميم المعابد والكنائس وإعادة تشيدها، ولا يسمح لهم بإقامة معابد وكنائس جديدة في أماكن فتحها المسلمون سواء أكانت هذه الأماكن فتحت صلحاً أو عنوه (إن كان في قرية يملكونها منفردين لم يمنعهم إحداث كنيسة ولأرفع بناء ولا يعرض لهم في خنازيرهم وخمرهم وأعيادهم وجماعاتهم وأخذ عليهم أن إلا يسقوا مسلما أتاهم خمرا ولا يبيعونه محرما ولا يطعمونه إياه) (47).

وفي نظير حمايتهم والدفاع عنهم فإنهم كانوا ملزمين في الأندلس بدفع مبلغ معين من المال يتفق عليه يسمى جزية، ولا تؤخذ إلا من الشباب القادر على القتال من غير المسلمين،وتسقط عن العميان والرهبان والصبيان والمجانين وكبار السن والفقراء والمعوزين، أما مقدارها، فإنه يتراوح مابين أربعة دنانير على الطبقة العليا، وديناريين على الوسطى، ودينار واحد على من هم دون ذلك(48) أما الشؤون الداخلية لأهل الذمة فقد تركت لهم بما يتلاءم مع خصوصية وضعهم وتركت لهم حرية الحكم بينهم حسبما ورد في كتبهم، يدل على ذلك قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (49) وان طلب أحد منهم المحاكمة أمام قضاة مسلمين أجيز له ذلك (50)أما أو قاف أهل الذمة فكان مسموحا لهم باستغلالها وفي وقف بعضها على كنائسهم وشئونهم(51)، وكانوا يتعاملون مع المسلمين بالبيع والشراء والطعام والهدايا (بشرط ما يجوز شرعا وقبل المسلمين منهم هداياهم في عيد الفطيرة)(52) ولذلك عاش أهل الذمة داخل المجتمع الأندلسي كجزء منه ووصلوا إلي أعلى المناصب أما عن الخراج وملكية الأرض فظهر فيه عدة اختلافات حول الملكية أما عن خراج الأرض فقد وضع عمر بن الخطاب نظام وهى جبي الخراج على النظام التالي:

1-أرض أحياها المسلمون وهى أرض عشرية لا يجوز أن يوضع عليها الخراج.
2- أرض اسلم أصحابها فتبقي في أيديهم فهم أحق بها وهى أرض عشرية.
3-أرض امتلكها المسلمون عنوة فتكون غنيمة تترك ليرى فيها الإمام رأيه.
4- ما صالح المسلمون عليه وهى الأرض الخراجية ويحدد الخراج وفق ما تتحمله الأرض وهذا يقوم على ثلاث أسس.

أ- جودة الأرض وخصوبتها وما تنتجه

ب- ما يختص بالزروع التي تنتجها الأرض من حبوب وثمار.

ج- طريقة ري هذه الأرض فما يسقي بالسيوح والإمطار يختلف في خراجه عما يسقى بالنواضح والدوالي. وتتغير قيمة الخراج تبعا لتغير هذه الأحوال(53) هذا بالنسبة لخراج الأرض، أما عن ملكيتها فالوضع يختلف وذلك عندما انتهت سيطرة القوط الغربيين بقيت تقاليدهم سائدة وقام المسلمون بترسيخ نظام الإقطاع بالبلاد[54].

ومن القرائن التي تثبت هذا التواصل التاريخي استمرار أبناء الملك (غيطشه) في وضعيتهم السابقة، حيث اعتبروا في عصر الولاة كأمرا إقطاع(55) بعد أن سجل لهم الوليد بن عبد الملك على ضياع أبيهم[56] كذا الحال بالنسبة لتدمير الذي أقطع أراضي مرسية فاستمرت وضعيته كأحد كبار الإقطاعيين مثلما كان في العصر القوطي، كما أن إقطاع الجند الشامي ثلث محصول الأهالي بعد من التقاليد الرومانية العريقة[57] كما شكل السادة النبلاء وأصحاب الكنيسة والعائلة المالكة، هم الذين شكلوا طبقة الملاكين في العصر بين القوطي والإسلامي وأن تغيرت الأسماء[58].

خلاصة القول إن وضعية الأرض في الأندلس إبان الفتح الإسلامي لم تخضع لقانون محدد – عكس ما كان بالمشرق حيث سيطرة الدولة المركزية- ولم تقسم على أساس شرعي، كما أن خمس الدولة لم يتم بكيفية نهائية، واستمرت نفس الحالة طيلة عصر الولاة، ولم يكن في صالح احد أن يجلى ما أكتنفها من غموض ما دام قد استحوذ على أقطاعات غير شرعية، وزادت الحرب الأهلية الدائرة بين القبائل إلي جانب كثرة تغير الولاة في الإبقاء على هذه الوضعية التي كانت غير قانونية أصلاً ولكنها اعتبرت صحيحة تمشياً مع الأمر الواقع حتى صارت بمثابة(عرف)، غيران، المشكلة احتدت حينما جاء جنود الوالي السمح بن مالك ،وأرادوا مشاركة الجنود البلديين في أراضيهم باعتبار أن لهم الحق في امتلاكها، مما جعل الملاك القدامى يشكون إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كتب لهم سجلات تشهد بملكيتهم تحت التهديد بالجلاء عن الأندلس[59] فأصبحت أرضهم شرعية عن طريق الغضب والابتزاز.

وباختصار فإن أحداث عصر الولاة زادت من تعقيد المشكل القانوني لوضعية الأرض وهذا ما يفسر انعدام عقود أو سجلات تثبت مشروعية ملكية أصحاب الأراضي[60] وبذلك تكون الأرض في الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري عرفت تحولا ها ما تجلى في فقدان الدولة سيطرتها

عليها على أن الأمر الذي نريد أن نوضحه إن الإسلام كان رحمة على أهل الأندلس من النصارى واليهود حيث تمتعوا بقسط وافر من الحرية والتسامح ولم يعانوا أي شكل من أشكال الاضطهاد وليس من شك فر رضا المسيحيين من أهل البلاد عن هذا النظام الجديد اعترفوا في صراحة أنهم يؤثرون حكم العرب على حكم القوط والدليل على ذلك عدم قيام أي ثورة من قبل نصارى الأندلس على حكم العرب طوال عصر الولاة، بل حتى القساوسة الذين كان من المتوقع أن يكونوا أشد الناس سخطاً على الوضع الجديد لم يكونوا شديدي التألم ، كما يدل على ذلك التاريخ المنسوب إلى المؤرخ المسيحي ايزيدور الباجى القسيس الذي كتب بقرطبة سنة 754م والذي لم يعرض للحكم العربي بالنقد الشديد[61].
كانت هذه السياسة أعظم وسلة إلى الإسلام بل كانت أبلغ وأكثر فعالية من المعارك والقتال ، إن الإسلام يرجع الفضل في انتشاره على نطاق واسع إلى هذه السياسة الحكيمة وحدها، واعترف المستشرقون بأن العرب لم يرغموا أحدا على الدخول في دينهم.

كانت طبقة العبيد الأسبان أكثر الطبقات استجابة لهذا الحكم الجديد الذي حررها وأخذ بيدها، هذا فضلا عن أن حظها من المسيحية كان قليلا بل جاوز الإسلام أفراد هذه الطبقة إلي الطبقة الوسطى الذين بدئوا يدخلون في الإسلام عن إيمان وعقيدة وحماس، بل نجد أفرادا من طبقة كبار الملاك يعتنقون الإسلام ويقبلون عليه، وان ارتباط كثيرين من العرب والبربر بعلاقات المصاهرة مع أهل البلاد يشد أزر الحركة الإسلامية ويقويها [62].

ويبدو أن الحركة الإسلامية في الأندلس كانت تسير بخطأ واسعة ، فهذا ابن عذارى وابن القوطية يؤكدان أن انتشار الإسلام وقوته في الأندلس تم في أول ولاية السمح بن مالك سنة 100هـ /719م [63] الذي سار على نهج الخليفة عمر بن عبد العزيز وهو رفع الجزية عمن اسلم وأخذ الخراج الشرعي مما كان لهذا أكبر الأثر في نشر الإسلام بالأندلس ، ولكن بعد وفاة الخليفة جاء ولاة كان لهم الدور في الجهاد فقاموا بالتوسع حتى بلغوا بلاد الفرنجة بعد افتتاح عامة الأندلس[64] ومن الولاة الذين كان لهم الدور الكبير في الجهاد للأندلسي الوالي عذره بن عبد الله الفهري (107هـ/725م)[65] إلى جانب الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (116-121هـ/736-728م) الذي أتخذ من مدينة أربونه ناقصي ثغر

الأندلس مركز له يتسني له القيام بالجهاد ففتح جليقية وبنبلونة ونقل إليهما قبائل عربية [66] ولم يقتصر جهاد ولاة الأندلس داخليا بل أمتد إلى خلف جبال ألبرت

5-غزوات المسلمين في فرنسا:

أ- جغرافية البلاد ووضعها السياسي:

كانت اربونة عاصمة لإقليم في جنوب غالياً (فرنسا) عرف باسم سبتمانيا يقع في أقصى الشمال الشرقي لأسبانيا، وترجع أهمية هذا الإقليم أنه يمتد في شمال جبال ألبرت بحذاء ساحل فرنسا الجنوبي[67] وكان جنوب غاليا يتكون من ثلاث أقاليم هي: أكويتانيا وسبيتمانيا وبروفانس. وطبقا للتقسيم الإداري منذ أيام الرومان هذه الأقاليم خاضعة لأسبانيا[68] ويوجد في هذه الاقالين عدة طرق ومسالك تربط بين فرنسا وأسبانيا[69].

أما عن الوضع السياسي لهذه الأقاليم فكانت ممزقة بين الشمال المضطرب وملوكه الميروفيجيين الضعاف، وبين الجنوب المتمرد على سلطة الشمال ،واقتطع مقاطعة أكويتا نيا وحكموها لصالحهم بقيادة القائد لو بوس إلي أن توفي عام 674م[70] وتولى أبنه وأودو، وأمام الضعف الذي أصاب الميروفيجيين أخذ حجاب القصر يرتقون إلى أعلي المناصب حتى استطاعوا أن يسيطروا على الحكم[71] كما كان غالبية سكان هذه الأقاليم من شعب خليط رومانى قوطى لكل منهما عاداته وشرائعه الخاصة بهما، كل ذلك سهل على القوات الإسلامية التدخل في جنوب فرنسا، بل وجدوا كل العون من سكان المناطق الجنوبية، لأنهم كانوا ينظرون إلى الميروفيحيين (الفرنجة) على أنهم برابرة من أخل الشمال بينما هم يرون أنفسهم ذوى مدنية قديمة وعريقة منذ زمن الرومان[72].

ب- غزو المسلمين جنوب فرنسا والتوسع في أوربا:

بدأ الغزو في عهد أيوب بن حبيب اللخمي عام 97هـ/715م حيث قضى أغلب ولايته رغم قصر المدة في الجهاد بشمال أسبانيا ليهيئ للمسلمين المناطق التي سوف ينطلقون منها إلى جنوب فرنسا [73] حيث كانت بقايا القوط المقاومين ويتلقون مساعدات من دون أكويتانيا وصاحبها الكونت أودو، وكان العرب يعلمون بحقيقة هذه المساعدات لذلك أرادوا قطع هذه الصلة بين الفرنجة والكونت أودو لذلك قام الوالي عبد الرحمن الثقفي (97-100هـ/715-718م)

باختراق جبال ألبرت وتوغل في أرض غاليا حيث غزا إقليم سبتمانيا وانطلق إلي أوروبا من الناحية الشرقية فيما بين نهاية جبال ألبرت وسواحل البحر عن طريق ممر بيربنيان[74] وافتتح المدن التي واجهته وعددها سبع ومنها عاصمة الإقليم نربونة والسبب في هذا الاختراق السريع إنه لم توجد قوى سياسية تقف في وجهة عبد الرحمن الثقفي، ولكن العرب لم يتمسكوا بما استولوا عليه من مدن فسرعان ما رجعوا أدراجهم إلى حيث أتوا، ولكن في عهد ولاية السمح بن مالك الخولانى(100- 102هـ/718-720م) وكان من خيرة القواد المسلمين الذين تولوا أمر الأندلس وبثوا فيها روح الجهاد وشب فيهم الحماس الذي كان قد ضعف على أثر استدعاء الخليفة الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير وطارق بن زياد، لذلك حاول السمح تحقيق فكرة موسي بن نصير وقام بحملة على ولاية سبتمانية وأعادها ،واستولى على أربونه بعد حصار دام شهرا ، وقد غنم المسلمون كثيرا من الأموال والتحف، ومما ساعد على سقوط أربونه اشتراك قوات بحرية إسلامية في محاصرتها من البحر مما سهل وصول المدد الإسلامي إلى القوة[75].

ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدينة أربونه قاعدة للعمليات الحربية في جنوب فرنسا نظرا لبعد المسافة بينها وبين قاعدة الأندلس لذلك دعم السمح بن مالك هذه القاعدة بالمقاتلين إلي جانب بعض القبائل العربية لتمصير المدينة وتحويلها إلى مدينة إسلامية [76] ثم اتجه السمح غربا متتبع مجرى نهر الجارون وفتح جميع المدن التي صادفها مثل بيزية، ثم فتح قرقشونة وسار حتى وصل إلى طرطوشة عاصمة إقليم أكوتيانيا، فأصطدم بحاكمها دوق أودو فدارت معركة بالقرب من المدينة وكان أودو على رأس الجيش، والمسلمين محاصرين المدينة بالمجانيق وظلت المدينة تقاوم حصار المسلمين إلي أن انتهى الحصار بطعنة للسمح قضت عليه أواخر عام 102-هـ/720م [77] مع عدد كبير من المسلمين وعادت فلول الجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الغافقي الإزدي إلى سبتمانيا التي أصبحت نقطة الانطلاق العربي لغزو فرنسا، ولما شاع خبر هزيمة المسلمين، قام أهالي اللانجدوك والبرانس بالخروج عن طاعة المسلمين إلا أن عبد الرحمن الغافقي ومن معه من قوات المسلمين استطاعوا القضاء على هذه الفتنة في مهدها وألزموا المتمردين على الالتزام بالطاعة ودفع الجزية

وغيرها[78] ولم يستمر عبد الرحمن الغافقي إلا شهوراً حتى خلفه والى جديد للأندلس.

جاء القرار من والي افريقية يزيد بن أبي مسلم بتعين عنبسه ابن سحيم واليا عام (103هـ-722) وكان عنبسه من نفس طراز السمح الخولانى حيث قام عنبسه باسترداد كافة المدن التي خرجت عن السمح عقب مقتله ،وصالح أهلها على نصف أعمالها وألتزم أهل المدن بدفع الجزية [79] ومن ثم زحف المسلمون إلى مقاطعات نيم وبوي ومقاطعة وكليرمونت ثم واصل عنبسة سيرة عام 104هـ/722م إلى منطقة دوفيني وعاصمتها جرنوبل حتى وصل نهر الساؤون في الجهة الشرقية لجنوب فرنسا فدخل إقليم برجندبا التي اشتهرت بعد ذلك باسم فرانش كونتية[80].

وبذلك بسط المسلمون سلطانهم على شرق جنوبي فرنسا ثم عاود عنبسة حملاته فاتجه إلى الشمال وتوغل في إقليم الرون واجتاح مدينة أوزه ومدينة فين وواصل سيرة نحو ليون ثم ماسون ومدينة بون وواصل سيرة حتى وصل إلي مدينة أوتان في أعالي نهر الرون[81] وإلي جانب ذلك قام عنبسة بحملة على المدن الواقعة على نهر اللوار، ولم يتوقف إلا قرب بلده سانس على بعد ثلاثين كيلو متر جنوب باريس بسبب المقاومة العنيفة التي تولاها قادة أهل المدينة[82].

ويرجع سبب هذا التقدم السريع للمسلمين في فرنسا إلي مساعدة الدون أودود ومحالفة للمسلمين وتأمين مؤخرة جيشهم، وذلك طمعا في مساعدة المسلمين له في القضاء على نفوذ شارل حاجب القصر الذي لم يكن على وفاق معه، حيث قام شارل بغزو أكويتا نيا مرتين ونهبها، كما كان شارل على خلاف مع أمراء الإقطاع في هذه المقاطعة الغنية،ويود هؤلاء الاقطاعين القضاء على شارل، لذلك تعاونوا مع عنبسه[83] وربما هذا التحالف هو السبب فيما وفق عليه المسلمون من انتصارات ما كانت منتظره، ويبدو أن عنبسة بن سحيم الكلبي أدرك أنه توغل في قلب غاليا أكثر مما ينبغي فخشي ألا يستطيع تأمين خطوط عودته، ثم إنه صادف ذلك الوقت أنبعاث العصبية في الأندلس بين القيسية واليمنية(84).

وتوالي عدد من الولاة على الأندلس مما كان سببا في تفاقم الاضطرابات والخلاف بين القبائل، حتى تولى الهيثم بن عبيد الكناني عام (111هـ/730م) الذي حاول أن يقر الأوضاع ويقضي على الفتن والمخالفين له في الرأي وبخاصة اليمنية، ثم أنصرف بعد ذلك إلى محاربة منوسة حاكم منطقة ألا

شترياس، ولكنه لم يوفق في القضاء على منوسة، فسار بجيشه صوب الشمال ليقمع الثوار في الولايات الجبلية ويواصل الغزو، فأخترق إقليم سبتمانيا إلى وادي الرون وغزاليون وشالون وذلك لتثبيت نفوذ المسلمين في هذه المنطقة[85] ولكن الهيثم بن عبيد لم يتخذ سياسة صارمة مع شيوخ العرب والبربر مما دعا إلى شكواه إلى الخليفة هشام بن عبد الملك فبعث محمد بن عبد الله ليتحقق من أمره ،فلما ثبتت إدانته ألقى به في السجن وأسند محمد بن عبد الله والى افريقية ولاية الأندلس إلى الأمير عبد الرحمن الغافقي عام (113هـ/732م).

ج- معركة تور (بلاط الشهداء) 114هـ /732م:

كان عبد الرحمن الغافقي من سكان الرباط والحصون فيما وراء جبال البرت لذلك مال الناس إليه لبراعته وشجاعته وعمق إيمانه كما أثقلت المواقع الحربية للمسلمين في هذه المنطقة عبدالرحمن الغافقي فعلمته الحذر والحيطة وتركت في نفسه رغبة جامحة في الثأر ولم يهدأ له بال إلا باستئناف الغزو،و لذلك حشد حشداً كبيراً من نخبة المقاتلين والمرابطين بعد أن أعلن الجهاد في سبيل الله ، فجاءه المتطوعين من كل مكان، فتجمع لديه جيش قوامه سبعين ألف مقاتل كلهم من البربر واليمنية، فسار بهذا الجيش إلى الدروب والممرات ليشغل نظر ملك الفرنجة عن وجهته الحقيقية، كما أرسل إلى عثمان بن أبي نسعة ليقوم بالمناورة، لكن هذا الأمير رفض لأنه كان حاقداً على عبد الرحمن الغافقي حيث يري أنه أحق بالولاية على الأندلس، كما أن نسعة كان متزوج أبنة أودو دوق أكويتا نيا لذلك أصبح حليفة[86].

وعندما رفض عثمان بن أبي نسعة التحالف مع عبد الرحمن الغافقي أصدر أوامره إلي القائد زيان بالقبض عليه والقضاء على ثورتة وتم ذلك عام 113هـ/732م (87)، وبعد ذلك واصل عبد الرحمن الغافقي مسيرته إلى جنوب غاله فاخضع مدينة أرل التي كانت قد خرجت عن طاعة المسلمين وتوقفت عن دفع الجزية، ثم اتجه لحصار اكويتانيا والتقي بالدوق اودو عند التقاء نهر الجارون بنهر دور دوني، وانتصر عبد الرحمن الغافقي انتصارا كبيرا مما جعل أودو يتقهقر إلي عاصمته بوردو[88]، مما جعل عبد الرحمن الغافقي يواصل مسيرته لحصار العاصمة حتي استولي عليها بدون مقاومة، وواصل الفتوحات فاستولي على مدينة بواتييه وغنموا كنوزا كثيرة واستعدوا للتوجه إلي مدينة تور وهي ثاني مدينة في دوقيه أكويتانيا فانهزم أودو هزيمة ساحقة وفر في نفر

الفصل الأول

من صحبته إلي الشمال وسقطت اكويتانيا في يد المسلمين[89] واستقبل ملك الفرنجة شارل مارتل الدوق اودو وبذلك توحدت قوى النصرانية في غاله، ورحب شارل مارتل بالفرصة التي تمكنه من بسط نفوذه على اكويتانيا وتحقيق أطماعه القديمة[90].

لذلك استنفر شارل مرتل المقاتلة من كافة أقاليم الفرنجة كما كان قد أنهي حروبه ضد الفريزيين والسكسون فأتوه مسرعين، إلي جانب ذلك أن شارل مرتل محارب ماهر أستطاع أن يجمع حوله عدد كبير من الجند بالقوة تارة وبالسياسة تارة أخري ، وكان المعسكر الإسلامي تفصله مسافات شاسعة عن القواعد الأصلية ما بين أربونه وتور، ولم يكن باستطاعة الغافقي أن يعتمد على نجدات سريعة في ساعة الخطر، وعسكر عبد الرحمن الغافقي بين تور وبواتييه وعبر شارل مرتل نهر اللور وعسكر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامي بأميال قليلة بين نهرى كلين وفيين فرعي نهر اللور، والجيش الإسلامي كان يكمن فيه خطر وهو الغنائم المثقل بها[91]، وعلى الرغم من ذلك تأهب الغافقي لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بعزم وثقة، وقد التقي الجيشان في معركة من أقسى المعارك التاريخية شهرة، فقد استمرت ثلاثة أيام، وقيل أسبوع كاملاً، أبلى فيها الجيشان بلاء كبيراً وكان جيش الفرنجة أضعاف الجيش الإسلامي، وكان أودو من القواد ذوي الخدع الحربية ، فقد كان يدرك نقطة ضعف عرفها عن المسلمين فأراد أن يستغلها، وهي أن الجيش مثقل بالغنائم ويحرص على أن يضعها في مؤخرة الجيش في حراسة حامية منه[92].

وهكذا قام أودو بحركة التفاف خلف جند المسلمين، وهاجم مؤخرتهم فأختل الجند وتراجع بعضهم لإنقاذ الغنائم، في الوقت الذي بقي البعض يقاتل، وحينئذ بادر الغافقي لإنقاذ الجيش ولكنه أصيب بسهم قاتل أودي بحياته،وعليه أصبح جيش المسلمين بدون قيادة، في الوقت الذي هاجم جيش الفرنجه المسلمين من كل جانب، فأستشهد منهم العدد الجم، وتراجعت فلوله إلي الوراء بعد أن أصابه الارتباك الشديد ،لما أصبح الصباح لم يجد شارل مرتل من يقاتله فاكتفي بهذا النصر، ولم يحاول متابعة بقايا الجيش الإسلامي، خشية أن يكون المسلمون قد دبروا له كمينا وعاد[93] إلى بلاده.

ولكن المد الإسلامي لم يتوقف بعد هزيمة عبد الرحمن الغافقي حيث اتجه المد الإسلامي إلي الشرق لنهر الرون بقيادة والي جديد، هو عبد الملك بن بقطن عام 114هـ /732م ،الذي جهز جيش كبير ليأخذ بثأر المسلمين ويوطن الإسلام

في تلك البلاد التي بدا سكانها يعلنون الثورة على شارل مرتل أملا في الاستقلال بالتحالف مع المسلمين في أربونه[94]، فلما زحف عبد الملك بن بقطن إلي بلاد لا نجدوك ووصل إلى ضفاف نهر الرون حيث مدينة فيين وتحالف معه حاكم بروفانس الأمير موروند الذي كان يلقب بدوق مرسيليا، وأشتد أزر هذا التحالف نتيجة انشغال شارل مرتل بقتال الفريزون الذين أعلنوا الثورة علية، كذلك تحالف أسقف مدينة أو كسير وغيرة مع المسلمين مساعدا لهم على مواصلة التوغل داخل بلاد الغال[95].

وقد حاول أهل أفينون منع المسلمين من المرور بمضيق دورانس لكن المسلمين تغلبوا على جميع العقبات التي كانت في طريقهم، وبذلك ظل المسلمون يتحكمون في إقليم بروفانس لمدة أربع سنوات لم يجروء خلالها أحد على منازعتهم السلطة فيها[96] ولما شعر عبد الملك بن بقطن الفهري بالرضا للنتائج التي أسفرت عنها حملته إلي بلاد الغال عاد أدراجه منها إلي قرطبة دون أن يتمكن من إخضاع الثوار البشكنس، وبعد عودته عزل في رمضان عام (116هـ/734م) واختار عبيد الله بن الحجاب والي افريقية والأندلس.

د- عقبة بن الحجاج السلولي (116 -123هـ/734-740م):

تولي عقبة بن الحجاج بدلا من عبد الملك بن بقطن[97] ، وفي ذلك يقول ابن عذاري (ولي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقية والأندلس..... فلما شرف عبيد الله وعلت منزلته وانتشر ذكره وفد عليه مولاه عقبة بن حجاج السلولى وخيره في ولاية ماشاء الله من سلطانه، فأختار الأندلس فولاه عليها وكان يجاهد المشركين في كل عام ويفتح المدائن وأقام عقبه بالأندلس بأحسن سيرة وأجملها) (98).

عندما وصل عقبة بن الحجاج السلولي إلى الأندلس اختار عبد الرحمن بن علقمة اللخمى قائد للجيش عام 116هـ/734م وهذا القائد سيلعب دورا هاما في هذه الفترة مع مورنتوس دوق مرسيليا،في استئناف الفتوحات الإسلامية في أراضي أفينون وحصونها، حيث انطلق الجيشان واحتلوا مدينة ليون من جديد، وكذلك ولاية برجوينا وأقاموا بها حاميات عسكرية ،كما سيطروا على تولوز وبورد وعاصمة كويتانيا بعد ما توفي الدون أودو عام 117هـ /735م، وكذلك سيطر العرب على الطرق التجارية التي كان مسيطر عليها الفرنجة، مما ضيق

الخناق على بلاد غرب أوربا،إلي جانب حصار الأسطول الإسلامي للشواطئ الجنوبية لجنوب فرنسا[99].

وقد ازدادت هجمات العرب والغاليين ضد الفرنجة مرة ثانية ففي، عام 118هـ 736م عبر الدوق مورنتوس دوق مرسيليا ، وعبد الرحمن بن علقمة نهر الرون في جيش مشترك واستوليا على مدينة أفنيون رغم تحصينها ثم استوليا على إقليم دوفنية وفالانس وفيين وليون وغيرها، وأغاروا على برجنديا لتثبيت سيادة المسلمين عليها، فلما علم شارل مرتل أرسل أخاه شيلد براند إلي ليون لاستردادها، كما استعان الفرنجه بملك اللومبارد ليتبراند وحاولوا حصار المسلمين في أربونه عام 119هـ/737م ولكنهم فشلوا فقاموا بحصار افينون ونصبو المنجانيق عليها إلي أن استولوا عليها وما جاورها من مدن[100] وواصلوا السير إلي أربونه ولكنها كانت حصينة ففشل حصارهم لها نظرا لوصول إمدادات عسكرية عن طريق البحر تحت قيادة القائد البحري عامر بن وهب العبدري ،ودارت معركة طاحنة بين مسلمي أربونه وبين شارل مرتل على ضفاف نهر بير على مسافة قصيرة من أربونه عام 119هـ/737م ولكن مني المسلمين بهزيمة في هذه الموقعة ، لذلك قام شارل مرتل بغزو أكويتانيا ودخل بوردو عاصمة الإقليم وأقام هونالد بن اودو مكان أبية على أن يكون تابع له، ثم جاء لشارل خبر وفاة ملك الفرنجه ثيودريك عام 120هـ/737م فارتد مسرعا إلى العاصمة ليتقي تدابير خصومة[101].

وانتهز عقبة بن الحجاج فرصة رجوع شارل وقام بحملة لاسترداد ما انتزعه شارل، فعبر نهر الرون واسترد مدينة آرل للمرة الثالثة وذلك عام 123هـ/739م ،كما استرد بمساعدة دوق مرسيليا مدينة آفنيون وليون وعدة حصون آخري في البروفانس، ولكن قدم ملك اللومباردو شارل مرتل وحاصروا عقبة ودوق مرسيليا في بروفانس مما جعل عقبة يخلي بروفانس والرجوع إلى سبتمانيا، ثم اتجهُ شارل لحصار نربونه[102] ولكن عجز عن اقتحامها بفضل تحصينها، فأتجه شارل إلي مرسيليا فأستولي عليها وهرب الدوق مورنتوس إلى أربونه مقر العرب ليستأنف الجهاد مع المسلمين، ولكن أثناء قيادة عقبة بن الحجاج الجيوش الإسلامية لاسترداد بوردو عاصمة إقليم أكويتانيا أستشهد عقبة بن الحجاج في معركة عند مدينة قرقشونه إحدى مدن إقليم سبتمانيا في صفر عام 123هـ/741م [103] وهو عائد إلي الأندلس ويدل ذلك على القوة الإيمانية

والصلابة الجهادية حبا فنشر الإسلام وإقامة لشريعة الله سبحانه وتعالي في الأرض حيثما كان[104].

لعل عقبه بن الحجاج خاتمة الولاة الذين قاموا بالجهاد وراء جبال البرت ، وقد جرت بعد ذلك في الأندلس أحداث شغلت المسلمين عن متابعة الجهاد ، بل هددته وأتت على الكثير منه إن لم يكن كله فيما بعد ، حيث أن عبد الملك بن بقطن اشترك في خلاف كان مصيره أن قتل فيها ، كما أنغمس بعد جند المسلمين في سبتمانيا منهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمى (105) من جند له كان نصيبه القتل ، مرت هذه الإحداث في الأندلس والدولة الأموية في الشرق تجتاز نهايتها.

هـ-أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (125-133هـ/742-750م):

ورغم أن أبي الخطار قد قفل باب الصراع بين العرب البلديين والعرب الشاميين في الأندلس إلا أنه فتح أبوابا من الصراع بين العرب اليمنيين والعرب القيسيين كان له أبلغ الأثر في تاريخ الأندلس.

تولي أبو الخطار الأندلسي في 125هـ/743م بناء على طلب بعض زعماء القبائل العربية، يمنية وقيسيه، من والي أفريقية بعد أن ساء هم النزاع الدامي بين القبائل العربية ودماء العرب تراق علي أرض شبه الجزيرة الأيبيرية، وما يتمخض عن هذا النزاع من أضعاف للوجود العربي بشكل عام في الأندلس ويشجع الدويلات المسيحية الناشئة في الشمال للتوسع على حساب النفوذ الإسلامي[106].

وفي نفس الوقت تمكنت الخلافة من القضاء على ثورة القبائل البربرية في بلاد المغرب بعد انتصار عاملها بافريقية حنظله بن صفوان الكلبي على البربر في موقعتي القرن والأصنام في 125هـ/743م[107]وتطلعت لإعادة سلطتها على الأندلس للقضاء على ما فيه عرب الأندلس من افتراق وحروب فشاور الخليفة هشام الأموي أبن أخيه العباس بن الوليد فنصحه بتعديل سياسته العدائية نحو اليمنيين واقتراح تولية أبا الخطار الأندلس[108].

الفصل الأول

دخل أبو الخطار الأندلسي متخفياً ومفاجئاً لعرب الأندلس المتصارعين بالقرب من قرطبة في رجب 125هـ/743م، فرفع لواءه وأعلن نفسه واليا على الأندلس فتسارع الجميع كل يشكو الأخر ويتهمه، فأشترط عليهم السمع والطاعة وطلب إليهم أن يمهلوه حتى يدخل قرطبة ويستريح ثم يفصل في أمرهم بالعدل فأطاعوه[109] فقد كان قائدا جليلا ورئيساً شريفاً في قومه مع فصاحة وبيان[110].

ابتدأ أبو الخطار ولايته بتأمين أمية وبقطن بن عبد الملك ومن معهما من العرب البلديين باستثناء عبد الرحمن بن حبيب زعيم عرب افريقية الطموح واحد المحرضين الرئيسيين للفتنة[111] ثم قام بإبعاد اثني عشرة زعيما من رؤساء القبائل الذين عملوا على إشعال نار الفتنة مثل ثعلبة بن سلامة العاملي، والوقاصي بن عبد العزيز الكناني، وعثمان بن أبي نسعه الخثعمي إلى افريقية[112].

ثم اتخذ أهم قراراته أثراً في مجريات التاريخ الأندلس وهو تفريق العرب الشامية على كور الأندلس ويعلق ابن الآبار على أهمية هذا القرار بقوله:(ولم يقدم (أبو الخطار) في ولايته الأندلس شيئا على تفريق جميع العرب الشاميين على البلد)[113].

ورغم ذلك فقد أدت عوامل وظروف لنشوب النزاع بين القبائل أهمها:

أولاً: انفصال القبائل عن بعضها في الفتح وبعده في السكن والاستقرار، ففي الجيش كانت كل قبيلة تكون وحده متميزة حسب رواية الرازي بكتابة الرايات (بلغ عدد الرايات في جيش موسي عشرين راية ثلاث منها له ولابنه والبقية لمن دخل معه من قريش وساتر العرب وعدد البيوتات الأخرى لمن دخل دون راية) وبما أن كل جماعة من الفاتحين حلت في الأرض التي اختارتها إثناء سيرها فمعنى ذلك أن احتفاظ كل قبيلة بشخصيتها وانفصالها عن غيرها في جيش الفتح قد توطد وتثبت[114]،وبالإضافة لكل هذا فان التجاور السكنى في ارض محتله حديثا في جو يسود فيه قانون الغلبة والقوة سيؤدي حتما إلى اصطدام حول ملكية الأرض كما حدث في المشرق.

ثانياً: رغم قضاء أبو الخطار على المشكلات العاجلة وتمتع الأندلس بالهدوء في بداية ولاياته إلا انه سرعان ما تنكر لاعتداله وتعصبه لقبيلته اليمنية وتوفرت له الدوافع لمثل هذا التغيير سواء قبل توليته أو خلالها ولكنها جميعا تدور حول شخصيته إذ بعد تنحية بشر بن حنظله الكلبي عن ولاية افريقية وتعيين عبيدة بن عبد الرحمن السلمي عوضا عنه (اخذ عمال بشر بن صفوان وأصحابه فحبسهم

وأغرمهم وتحامل عليهم وكان فيهم أبو الخطار) وتتابع ولاة افريقية والأندلس في التنكيل بالعرب اليمانية[115]، وافتخر أبو الخطار بيوم مرج رهط، ما كان فيه من تحالف قبيلة كلب مع مروان بن الحكم ضد الضحاك بن قيس الفهري زعيم قبيلة قيس وقائد جند عبد الله بن الزبير منازع بني أمية الخلافة وانتصار قبيلة كلب ، فلما بلغ الافتخار للخليفة هشام بن عبد الملك وعلم أن قائله رجل من قبيلة كلب أمر حنظله بن صفوان الكلبي واليه على افريقية بتعيين أبو الخطار واليا على الأندلس[116].

يضاف إلي ذلك اغتيال صديقه الحميم سعد بن جواس في الأندلس وهو من قبلة كلب، وكان عزيزا عليه مقربا إلى نفسه فاتهم القيسيين بأن لهم يدا في قتله ،وتحامل القيسيون.تحامل أبو الخطار عليهم في صبر سفينة الصحراء لا لأنه من شيمتهم ولكن لضعفهم بسبب توزيعهم على النصف الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية ،وأن لهذا الصبر أن ينقضي ،فاتفق في بقض الأيام أنه اختصم رجل من كنانة ورجل من غسان، وعلى الرغم من قيام الحق في جانب الكناني فان ما طبع عليه الوالي من تحيز لعصبيته دفعه إلي تجريمه فشكا الكناني هذا الحكم الجائر إلي الصميلبن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن[117] من قبيلة كلاب[118] وزعيم عرب القيسية فكلم فيه أبو الخطار فاستغلظ له أبو الخطار، فأجابه الصميل فأمر به فأقيم وضرب قفاه فمالت عمامته فلما خرج قيل له : دري عمامتك مالت، فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها[119].

كان هذا بمثابة إعلان حرب فقد اوجد أبو الخطار لنفسه عدوا خطير شديد المراس يصفه ابن الأبار بقوله: (وكان شجاعاً، نجدا، جواداً، كريماً) وفي نفس الوقت (كان رجلا أميا ليقرا ولا يكتب)[120] حتى غمزه أرطبا بأن أدب الإسلام لم يؤثر فيه وانه ظل جاهلي الطبع والخلق والنزعات بقوله:(يا أبا الجو شن أن أهل ديانتك يخبروننا إن أدبهم لم يأخذك ولو أخذك لم تنكر على برمن بررت)[121] حتى نراه وهو يعيش في القرن الثاني الهجري يدعو بدعوي الجاهلية حين قاومت مكة الدعوي لمساواة الإسلام بين العبيد والسادة ،إذ يروي أن الصميل مر بمعلم يتلو (وتلك الأيام نداولها بين الناس) فوقف يتفهم ونادي المعلم: يا هناه اكذا نزلت هذه الآية؟ قال: (نعم) قال: فأري والله أن سيشركنا في هذا الأمر العبيد ولأراذل والسفلة)[122] هذا هو الصميل الذي اتخذه أبو الخطار

عدوا رجلا تنازعه قوتان احدهما خيرة والأخرى شريرة وكما يخضع للغريزة وتحركه فكان مزيجاً عجيباً من الانفعالات المتضاربة[123].

خرج الصميل من قصر أبو الخطار وقلبه يتلظي بنيران الثأر وعاد إلي داره بقبلي قرطبة فجمع كبار قومه وأخذ يشاورهم في السبيل التي يستعيون بها أن يغسلوا هذه الإهانة ويدركوا ثارهم من أبو الخطار واليمنية[124].

ونتيجة لضعف القبائل وتفرقها بالأندلس لم يستطيع الصميل إعلان ثورته إلا بعد توحيد القبائل القيسية من ناحية،والتحالف مع بعض القبائل اليمنية المناوئة للوالي من ناحية أخرى ،عرض الصميل ما لاقاه من إهانة على قومه فأجابوه: (نحن تبع لك) فقال: أريد أن أخرج أبا الخطار من الأندلس (فأشار عليه بعض كبار قومه بعد أن وافقوه محذرين) (استعن بمن شئت ولاستعين بأبي عطاء القيسي، وكان من أشراف قيس وكان يناظر الصميل في الرياسة ويحسده) بينما اقترح البعض الأخر: (الرأي انك تأتي أبا عطاء تشد أمرك به فانه تحركه الحمية وينصرك وان تركته مال إلي أبي الخطار وأعانه عليك ليبلغ فيك ما يريد) اقتنع الصميل بالرأي الأخير وسافر إلي أبي العطاء زعيم قبيلة غطفان بمدينة استجه وعرض عليه الموضوع، فلم يكلمه حتى قام فركب فرسه وليس سلاحه وقال له: أنهض الآن حيث شئت فانا معك، وأمر أهله وأصحابه وإتباعه فساروا إلى مرور[125].

وهكذا تمكن الصميل من توحيد جميع القبائل القيسية في جبهة واحدة، أما بالنسبة للتحالف مع بعض القبائل اليمينية فقد أعاد الصميل الدعوة لألفة مرج رهط من جديد والتحالف مع قبيلتي لخم وجذام مقابل أن يكون منهم الوالي الصوري ،ويكون لقيس الحكم الفعلي، فأتصل الصميل بثوابه بن سلامة الجزامي من جند فلسطين وزعيم عرب جذام وكان مناوئا لأبي الخطار لأنه ولاه على اشبيلية وغيرها ثم عزله ففسدت العلاقة بينهما،وعرض عليه الأمر فأجابهم وأجابته لخم وجذام وساروا معا إلى شذونة، وهكذا تحالف القيسيون والجذاميون واللخميون ضد أبا الخطار سنة 127هـ/745م[126].

حينما علم أبو الخطار بهذا التحالف أقام نائبا له بقرطبة وأسرع بالزحف إلي مخالفيه وتقابل الفريقان عند وادي لكة في رجب 127هـ/744م وتخاذلت معظم القبائل الكلبية اليمنية عن قتال بني عمومتهم قبائل جذام ولخم ،ثم تركوا أبا الخطار في قلة وولوا هاربين مما اضطره إلي الفرار نحو قرطبة حيث أسر وكبل بالحديد، ورغم توليه ثوابه بن سلامة زعيم جذام ولخم أمارة الأندلس تنفيذ

ا لما اتفق عليه إلا أن الصميل ثأر من أهانه الأمس واوقع عدوه في قبضه يده[127].

لم يستسلم الكلبيون للهزيمة وثاروا وتمكن عبد الرحمن بن نعيم الكلبي بقوة مكونة من مائتى راجل وأربعين فارسا من قبيلة كلب من الزحف ليلا إلى قرطبة وإطلاق سراح أبا الخطار من محبسه حيث أقام في كلب وقبائل من حمص المستقرين بأشبيلية فاكتنفوه ومنعوه[128].

وتقاطرت بعض القبائل اليمنية على آبي الخطار وزحف بهم إلي قرطبة فخرج إليه ثوابه والصميل فيمن معهم من اليمانية والمضرية ،فلما تقابل الطائفتان نادي رجل من مضر يا معشر اليمانية مالكم تتعرضون إلي الحرب وتردون المنايا عن أبى الخطار؟ أليس قد قدرنا عليه، لو أردنا قتله لفعلنا لكننا منا وعفونا وجعلنا الأمير منكم أفلا تفكرون في أمركم ؟ فلو أن الأمير من غيركم لعزرتم، لا والله لا نقول هذا رهبه منكم ولا خوفا لحربكم بل تحرجاً من الدماء ورغبة في عافية العامة، فلما سمع الناس كلامه قالوا صدق والله الأمير منا فما بالنا نقاتل قومنا؟ فتركوا القتال وافترق الناس [129]وتخلوا عن أميرهم على الرغم مما هو فيه وقوضوا خيامهم في نفس الليلة عائدين إلي بلادهم[130].

وصدقت رواية كل من ابن حيان وابن الآبار في وصف الصميل بأنه كان شجاعاً جواداً جسوراً وكانت له في قلب الدول وتدبير الحروب أخبار مشهورة [131] فقد انتصر الصميل في هذه الموقعة دون إراقة قطرة دماء كما نكل بمنافسة السياسي بحيلة خبيثة .

استمرت ولاية ثوابه بن سلامة إلى أن توفي في 129هـ/746م فتصارع زعماء القبائل اليمنية حول من يخلفه منهم : فطالب عمرو بن ثوابه بالولاية خليفة لأبيه، ونافسه يحيي بن حريث زعيم عرب جذام وأحد كبار العرب المؤنسين لحلف الصميل رغم ما يكنه من حقد وكره للشاميين حتى قال فيهم كلمته المأثورة: لو إن دماء أهل الشام جمعت لي في قدح لشربتها[132].

وفي نفس الوقت تطلعت المضرية إلي السلطة دون الولاية، ولم يكن هذا عن تعفف ولكن عن تقدير لقوة المضرية بالأندلس وبعد نظر زعمائهم أمثال الصميل ،ولهذا استغل الصميل الصراع بين عمر وأبن ثوابه ويحيي بن حريث وروج لترشيح يوسف بن عبد الرحمن الفهري ،ورضي به كل من المضرية واليمانية لانتمائه إلي قريش[133] كما تميزبه إذ كان شريفا جليلا حازما عاقلا

الفصل الأول

تقيا فاضلا واسترضي يوسف، يحيي بن حريث الجذامي مقابل استقلاله بكوره ريه[134].

كما تم الاتفاق على أقتسام الإمارة بين المضرية واليمنية وتناوبها بين الجندين سنة لكل عصبية وقدم المضرية على أنفسهم يوسف ابن عبد الرحمن الفهري أن يلي سنة ،ثم يرد الأمر إلى اليمنية فيولون من أحبوا من قومهم [135] وكان المفهوم أن هذه الحلول والاتفاقيات مؤقتة لحال طارئة حتى يأتي الوالي الشرعي الذي يختاره الخليفة ولكن الخلافة الأموية كانت في دور الاحتضار[136].

ولم يكن الصميل ألقيسي ليترك زعيما يمنيا تزداد سلطته وتكبر قوته حتى يتمكن من تحقيق أمنيته في شرب دماء أهل الشام بعد عام فسرعان ما دفع واليه يوسف بن عبد الرحمن إلي عزل يحيي بن حريث الجذامي عن كوره ريه فأتصل ابن حريث بأبي الخطار في اشبيلية للثورة ضد يوسف وتنافس كلاهما على الرياسة وقال أبو الخطار أنا الأمير وقال ابن حريث : بل أنا أقوم بالأمر لان قومي أكثر من قومك وحسمت قبيلة قضاعة الأمر بتأييدها لابن حريث لجمع كلمة اليمنية بالأندلس فقدموه أميراً على القبائل اليمنية المتحالفة: جذام وحمير وكندة ضد يوسف والصميل ومن حالفهما من القبائل المضرية وربيعة وتقابل الجمعان في موقعة شقندة سنة 130هـ/747م[137].

وكان القتال بينهما صورة حية للأخلاق العربية وعاداتها ويصور كل من صاحب أخبار مجموعة وابن عذاري المعركة بالتفصيل وكيف أن يمنية الأندلس اصطف حميرها وكندتها ومذحجها وقضاعتها، وانحازت مضر وربيعة إلى يوسف ..... فلحق خيار اليمن بابن حريث من كل جند وتجرع أهل البلد بتجرع أهل الشام ولحق خيار مضر يوسف والصميل[138].

وهكذا تجمع اليمنيون من شتى النواحي للانخراط تحت لواء ابن حريث حتى القبائل اليمنية التي كانت مرافقة لطالعة بلج والتف المعديون بلديون وشاميون حول يوسف والصميل[139]ولا يعرض أحد لأحد يخرج الجوار فيودع بعضهم بعضا حتى يلحق كل رجل بقومه [140] في أدب وحب جديرين بالشجعان الهادئين وان أدركوا إنهم سينازلون بعضهم البعض في ساحة القتال زحف ابن حريث وأبو الخطار الي يوسف والصميل بقرطبة فاقبلا حتى نزلا على نهر قرطبة بقبائلهم بقرية شقندة، وعبر يوسف والصميل النهر إليهما بمن معهما فالتقوا حين صلوا في الصباح فتطاعنوا على الخيل [141] فما تسمع

إلا صهيلا وصليلا [142] حتى تقصفت الرماح وثبتت الخيل وحميت الشمس ثم تداعوا إلى المبارزة فتنازلوا وتضاربوا بالسيف حتى تقطعت، ثم تقايضوا بالأيدي والشعور فلما أعيا بعضهم بعضا توافقوا يضرب بعضهم وجوه بعض بالقس والجعاب ويغشى بعضهم التراب على بعض [143] والتفت الساق بالساق وانضمت الأعناق إلى الأعناق فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين بعد حرب الجمل وصفين [144] بل ويصفها ابن حيان بقوله: أنه لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلادا ولا اصبر رجالا(145).

ورغم ذلك فقد تعادلت كفة الفريقان حيث انه لم يكن القوم بكثير لا هؤلاء ولا هؤلاء وإنما كانوا أخيارا من الفريقين وكانوا متقاربين (146) ويضاف إلي ذلك عامل هام وهو الجوار وأثره في نفسيه العرب ففي كل الفريقين كان هناك بلديون كما كان هناك شاميون ، وبالتالي فكلا الفريقين كان متردا في الإيقاع بخصمه إلى أن حسم الصميل هذا التردد بإشراك طرف ثالث ليعينه إلي النصر والمغانم فخاطب الصميل يوسف قائلاً: لاما وفقنا إذ خلفنا جند نحن عنهم في غفلة قال ومن هم ؟ قال : أهل السوق بقرطبة افرد إليهم يوسف مولاه خالد ابن يزيد...فأخرجا منهم نحوا من أربعمائة رجل مهم الحب والعصي ومع قليل منهم السيف والمزا رق، فخرج الجزارون بسكاكينهم فجاءوا إلي قوم موتى وقد مضي الظهر والعصر لم يصلوها لا صلاة خوف ولا امن، فجردوهم وقتلوا واسروا بشرا كثيرا خيارا واسروا أبا الخطار وأبن حريث وكانا الأميرين [147].

تخلص الصميل من زعماء اليمن المبرزين ثم جلس لأخذ ثاره من عمامتهم المصفدين على باب جامع قرطبة، وجعل يقضي في أمرهم بالموت واحد واحدا في لذة ووحشية واستخفاف، فلما ضرب اوساط سبعين منهم ثارت نفس حليفه أبي العطاء شيخ جذام فقام ينهاه وقال له: أبا جوشن: اغمد سيفك ولكن الرجل رده وقال له في نشوة الانتقام -قاصدا لاشك نفسه - اقعد أبا عطاء الصبر، وخشي أن يكون الصميل ألقيسي يسرق هذا الإسراف في التشفي من اليمنية رغبة منه في القضاء عليها وان كانوا من يمن الشام وتحركت في أبي عطاء يمنيته ورأي في الصميل عدوا المواطنة وسليل جند العراق الذين حاربوا تحت راية على بن أبي طالب أهل الشام أتباع معاوية في وقعة صفين ، فقام للمرة الثانية وصاح به: يا أعرابي والله إن تقتلنا إلا بعداوة صفين، لتكفن

أو لا دعون بدعوة شامية، وبهذا التهديد وحده خاف الصميل وكف عن هذا العمل البشع [148].

وترتب على هذا الانتصار إن رأس الصميل في الناس وشهر بالنجدة والبأس وصرف يوسف الفهري إليه الأمور مرغما وأوقف عليه الرئاسة والتدبير فكان ليوسف الاسم وللصميل الرسم [149] وتخلي الصميل عن حذره المعتاد وأسكرته نشوة الانتصار والانتقام وسيطرته على مقاليد أمور الولاية فأخذ يقرب ما يشاء ويدفع عنه ما يشاء وتملك الرقاب حتى أدرك يوسف أنه ملك ولا يحكم ففكر في الخلاص من الوصي الذي فرض نفسه عليه ، فأقترح على الصميل ولاية إقليم سرقسطه لتنظيمه ورغم إمكانية الصميل لرفض المنصب الجديد وفرض وجوده بقرطبة لماله من عصبية وأيادي بيضاء على غيرها إلا انه رحب باقتراح يوسف ويحق لنا أن نتساءل لماذا ؟ هل سبب كثرة اليمنيين المستقرين بهذا الإقليم كمجال لاضطهاد ؟ سواء بدافع شخصي أو بإغراء يوسف الفهري الذي أراد أن يرميهم بهذا القيسي القح، أم بسبب غنى إقليم سرقسطة بفضل مياهه وخيراته ونجاته من شر المجاعة التي حلت بالأندلس في ذلك الوقت ؟ وانتقل الصميل إلي سر قسطه برفقه أتباعه وموالية ومائتي رجل من قريش في 133هـ/750م [150].

هوامش الفصل الأول

1- حسين مؤنس : فجر الأندلس ، دار الكتب المصرية القاهرة 1959م ص2-4، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي 1967م ج1، ص29 ، سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا في العصور الوسطى ، مكتبه الأنجلوا المصرية القاهرة ص1960 ص88.

2- توماس أرنولد : الدعوة إلي الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1958م ج1 ص155 .

3- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ،ج1 ص32 ، الحميري الروض المعطار في خبر الأقطار (صفة جزيرة الأندلس) تحقيق ليفي بروفنسال القاهرة 1937م ص170 ابن خردزابه : المسالك والممالك ، ليدن 1889 ، ص153 ابن القيم الجوزي : أحكام أهل الذمة ، علق على حواشيه طه عبد الرءوف سعد ، دار الكتب العلمية بيروت 1995،ج2 ص193،أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤنسة الثقافة الجامعية أسكندرية ص52.

4- كريستوفر دوس : تكوين أوربا ، ترجمة محمد مصطفي ، القاهر ة ،1966ص115.

5- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، نشر وترجمة لافونتى الكنترا،مدريد 1867 ،ص5.

6- سعيد عبد الفتاح عاشور : مرجع سابق ج1 ص88

7- حسن احمد محمود : تاريخ المغرب والأندلس ، دار الفكر العربي القاهرة، ص20.

8- حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص52.

9- ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق جي س كولان ن ليفي بروفنسال ، الدار العربية للكتاب ، بيروت 1983 ،ج2 ص302 المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1968 ،ج2 ص107-117 مجهول : أخبار مجموعة ، ص16.

10- محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ج1 ، ص39 .

11- مجهول : أخبار مجموعة ص14 ، ابن عذاري : مصدر سابق ،ج2 ص4

12- مجهول : مصدر سابق ، ص16 ، المقري ، مصدر سابق ج1 ص118.

13- أبن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، تحقيق احمد مختار العبادي ، مدريد 1968 ص45 ، المقري : مصدر سابق ، ص118.

14- ابن عذاري : مصدر سابق ج2 ص5.

15- ابن الكردبوس : مصدر سابق ، ص46.

16- ابن عذاري : مصدر سابق ،ج2 ص12 ، مجهول : أخبار مجموعة ص ـــــــ17-18، احمد مختار العبادي : مرجع سابق ص59-60.
17- مجهول : أخبار مجموعة ، ص18 .
18- ابن عذاري : مصدر سابق ج2 ص12، احمد مختار العبادي : مرجع سابق ص60 ، عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلس ، دار القلم دمشق ، 1994 ، ص46.
19- مجهول : أخبار مجموعة ، ص18-19.
20- حسن احمد محمود : مرجع سابق ، ص31.
21- مجهول : أخبار مجموعة ، ص20- 21 ، احمد مختار العبادي : مرجع سابق ص74.
22- مجهول : أخبار مجموعة ، ص.24
23- نفس المصدر ص24-25. احمد مختار العبادي : مرجع سابق ص78.
24- مجهول : أخبار مجموعة ، ص26
25- نفس المصدر ص27 .
26- الحميري: مصدر سابق ص62-63 ، الضبي : بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ،مدريد 1884.ص15 ، العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان تحقيق عبد العزيز الأهوانى ،مدريد 1965 ص5.
27- ابن عذاري : مصدر سابق ، ص23
28- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ، أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف مصر 1970 ،ج6،ص523 ، ابن عذاري : مصدر سابق، ج2ص25.
29- المقري : نفح الطيب ،ج1 ص109 ، محمد عبد الله عنان : مرجع سابق،ج1 ص73.
30- حسن احمد محمود : مرجع سابق ص59.
31- تناول ليفي بروفنسال هذه الفترة في إيجاز شديد حيث كتب في الجزء الأول من تاريخ أسبانيا الإسلامية المطبوع بالمجلس الأعلى للثقافة ما يقارب من خمس عشر ورقة فقط ،انظر نفس الكتاب ترجمة على عبد الرؤف البميى وآخرون المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2000م ص43-58 ، ص81-82
32- الضبي : بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، ص15 ، العذري :ترصيع الأخبار،ص5 ، الحميري :مصدر سابق ص62-63،

*حول هذه المعاهدات انظر : البلاذري :فتوح البلدان تحقيق ، صلاح الدين المنجد عدة صفحات ، مجهول: أخبار مجموعة ص205 ، المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج،1ص258.

33- ليفي بروفنسال : مرجع سابق ، ص81.

34- توماس أرنولد : مرجع سابق ، ص57، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ج،2ص62.

35- توماس أرنو لد : الدعوة إلي الإسلام ص156-157.

36- نفس المرجع ، ص.155

37- ليفي بروفنسال : مربع سابق ، ص81.

38- أدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة 1960،ج،2ص 57.

39- عطا أبو ريه :اليهود في المغرب الأقصي ، دار الكلمة سورية 1999،ص22.

40- ليفي بروفنسال : مرجع سابق ص81.

41- حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص52 شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، دار الكتب العلمية بيروت ص105.

42- قرآن كريم سورة التوبة إيه 29.

43- الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، بولاق مصر 1227 هـ ج10 ص77.

44- القرطبي : الجامع لإحكام القران ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة ج8 1967ص110.

45- الزمخشري : الكشاف ، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع بيروت 1983، ج2 ص184

46- الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الإسلامية ، شركة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1973، ص145.

47- الشافعي : الأم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، والقاهرة ص126((فإن وقع – الصلح –على أن الأرض لهم جاز إحداث بناء كنيسة))انظر ابن القيم الجوزي : مصدر سابق ، ج2ص138-140.

48- يحي بن أدم : الخراج ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق 1986ص66، قدامه بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة، شرح محمد حصين الذبيدي ، العراق ، وزارة الثقافة ، 1981 ص255 الشيرازي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1946، ص107.

49- قران كريم سورة المائدة أيه 34

50- الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب الجامع لفتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، اخرجة جماعة من الفقهاء ، بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981 م ج10 ص56.

51-نفس المصدرج7 ص73.

52-نفس المصدرج11 ص.112

53-فتحية النبرواي : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي القاهرة ، 2004، ص152.

54- ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس بيروت ص76.

55-ابراهيم القادري بوتشيش : أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس من منتصف القرن الثالث الهجري في ظهور الخلافة ، منشورات دار عكاظ الرباط 1992ص71.

56-المقري : مصدر سابق ص266.

57-احمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، القاهر ة بدون تاريخ ص234

58-إبراهيم القادري بوتشيش : مربع سابق ص71.

59-ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق وتعليق عبد الله أنيس الصباغ ، بيروت 1958ص207 .

60-يذكر الخشني أن وزراء هشام بن عبد الرحمن 172-180هـ 788-796م استدعوا احد القضاة ويدعي زياد بن عبد الرحمن وعرضوا عليه القضاء فأبي ، ولكنهم ألحوا علية وحاولوا أكراهة فلما راي ذلك منهم اقسم لهم بالله أنهم سيصبحون مدعي عليهم إذا ما جاء أحد يطلب ما في أيديهم لأنهم لا يملكون عقودا قانونية ، فلما تأكدت لهم جديته وصدق كلامه ذهبوا إلي إعفائه، أنظر قضاه قرطبة وعلماء افريقية ، نشر السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة1372، ص48.

61-توماس ارنولد : مرجع سابق ، ص157-160.
62-نفس المرجع ، ص160-162.
63-نفس المرجع ، س160-162.
64-ابن عذاري : مصدر سابق ، ج2ص26 ، ابن القوطية ، مصدر سابق ، ص64.
65-المقري : نفح الطيب ، ج3 ص17.
66-مجهول : أخبار مجموعة ، ص27-28، ابن عذاري : مصدر سابق ج2 ص29، المقري ، نفح الطيب ، ج3 ص19.
67-محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج1ص69، 130-132.
68-البكري : جغرافية الأندلس وأوربا ، تحقيق عبد الرحمن ألحجي ، دار الرشاد 1967، ص59-66، ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر بيروت ج1ص350.
69-للمزيد حول هذه الدروب والممرات انظر البكري : مصدر سابق ص15، الحميري : مصدر سابق ، ص33،24ياقوت الحموي : مصدر سابق ج1ص350 عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة 1963ص29.
70-كريستوفر دوس: مرجع سابق، ص115-117 ،سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق ج1ص92.
71- إبراهيم طرخان : المسلمون في أوربا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1968، ص62-63، كريستوفر دوس : مرجع سابق ص260-630 .
72-هربرت فيشر : أوربا في العصور الوسطي ، ترجمة محمد مصطفي زيادة ، دار المعارف 1962 ، ج1ص71
73- العذري : مصدر سابق ، ص25.
74-ابن الكر دبوس: مصدر سابق، ص71 .
75-المقري: نفح الطيب، ج2ص15.
76-نفس المصدر ، ج2ص235 ، ابن عذاري مصدر سابق ج2 ص26.
77-إبراهيم على طرخان: المسلمون في ارويا ، ص65-66، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، ج1ص80.

78-إبراهيم طرخان، مرجع سابق ، ص66-67.
79-ابن عذاري :مصدر سابق ، ج2ص26، المقري : نفح الطيب ج1ص235.
80-إبراهيم على طرخان : مرجع سابق ، ص87-79، شكيب ارسلان : مرجع سابق ص75-76، 110.
81-إبراهيم طرخان : مرجع سابق ص68، شكيب أرسلان : مرجع سابق ، ص،78حسين مؤنس : مرجع سابق ص247 ، وفي ذلك يقول ابن عذاري : خرج غنبسه غازيا لبلاد الروم بالأندلس وأهلها يومئذ خيار فضلاء ، أهل نية في الجهاد وحسبه في الثواب فألح على الروم في القتال والحصار حتى صالحوه ،مصدر سابق، ج2 ص27.
82-إبراهيم طرخان : مرجع سابق ، ص69، محمد عبد الله عنان : الإسلام في الأندلس ، ج1ص80-81 حسين مؤنس: فجر الأندلس ص247.
83-ابراهيم طرخان: مرجع سابق ، ص69.
84-ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،دار صادر بيروت 1968، ج4ص202، المقري : نفح الطيب ، ج1ص235.
85-ابن الأثير : الكامل ، ج4 ص201-202، 207 ، المقري : نفح الطيب ج1ص235، شكيب ارسلان: مرجع سابق، ص72-78، محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ج1ص88-89 ، إبراهيم على طرخان: مرجع سابق ص69-70.
86-ابن الأثير : الكامل ص207 ، ابن عذاري : مصدر سابق ص28، المقري: نفح الطيب ، ج1ص235 مجهول: أخبار مجموعة ، ص31.
87-ابن الأثير : الكامل ج4 ص214 ، ابن عذاري : مصدر سابق ج2 ص28، المقري : نفح الطيب ،ج1 ص236، محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ج1 ، ص88-89.
88-ابن الأثير : الكامل ،ج4 ص214-215، المقري : نفح الطيب،ج1 ص235 ، ابن عذاري : مصدر سابق ،ج2 ص28 عثمان بن أبي نسعة من عرب لخم وقد تزوج من ابنه دوق أدوو وتدعي اميجيا ، انظر إبراهيم طرخان : مرجع سابق ، ص72-73 ،شكيب ارسلان : مرجع سابق ، ص98-99 ونسعه كان متولي إمارة منوسة وعاد للمغرب بعد عزله من الأندلس – وليس قتله ،انظر ابن عذاري : مصدر سابق ،ج2 ص28، كما يذكر انه شارك في ثورة البربر في الأندلس ثم الانقسام بين عرب الأندلس وعرب الشام حتى مقتل بلج انظر المقري مصدر سابق ،ج1 ص237 مجهول : أخبار مجموعة ص46-47.

89-ابن الأثير: الكامل،ج4، ص214-215، ابن عذاري : مصدر سابق،ج2 ص28-29 محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الاندلس ،ح1ص89 .
90 – شكيب ارسلان : مرجع سابق ، ص86-89.
91-محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ج1 ص89.
92-ابن الأثير : الكامل ،ج4 ص214-215 المقري : نفس المصدر،ج1 ص274.
93-محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس،ج1 ص90 .
94-ابن الأثير: الكامل، ج4 ص215-217 ، الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ،تحقيق المنجي ألكعبي ،تونس 1968 ص75 ابن عذاري : مصدر سابق، ج2 ص28.
95-محمد عبد اله عنان دولة الإسلام في الأندلس،ج1 ص113.
96-حسين مؤنس : فجر الأندلس ص277.
97-المقري : مصدر سابق ،ج1 ص274، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1 ص111-112، إبراهيم طرخان : مرجع سابق ، ص75-80 ، حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص278.
98-البيان المغرب، ج2 ص29.
99-ابن عذاري : مصدر سابق، ج2 ص30، المقري : مصدر سابق،ج2 ص236 ، عبد الرحمن على ألحجي : مرجع سابق، ص204-205.
100-إبراهيم على طرخان : المسلمون في أوربا ص81 ،محمد عبد الله عنان الاسلا م في الأندلس ،ج1 ص112-113.
101-جوزيف رينو : تاريخ غزوات العرب ، ترجمة شكيب أرسلان بيروت ،1966ص77.
102-نفس المرجع ص77-78.
103-المقري : نفع الطيب ، ص236.
104-مجهول :أخبار مجموعة ، ص25.
105-المقري : نفح الطيب ، ص21-22، 26.
106-ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف مصر 1963،ج1 ص61 ، الضبي : مصدر سابق، ص261-262.

107-الرقيق القيرواني : مصدر سابق ، ص115، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الإسلامي إسكندرية 1966، ص314-315.
108-ابن القوطية: مصدر سابق ، ص19-20.
109-نفس المصدر والصفحة ، الضبي : مصدر سابق ، ص261، 262، ابن عذاري : مصدر سابق ،ج2 ص48، 49.
110-الرقيق القيرواني : مصدر سابق ، ص105.
111-مجهول : أخبار مجموعة ، ص46، ابن عذاري : مصدر سابق ، ج2ص49،ابن خلدون : العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت،ج4 ص259.
112-ابن القوطية: مصدر سابق ، ص19-200، الضبي: بقية الملتمس ، ص263، ابن الأثير : الكامل ج5ص273.
113-ابن الآبار: الحلة السراء، ج1ص61-62، ابن خلدون: العبر، ج4 ص259-260.
114-ابن القوطية : افتتاح الأندلس ، ص203.
115-ابن الأثير: الكامل،ج5 ص272- ابن الآبار: الحلة السراء، ج1 ص66.
116-الضبي: بغية الملتمس، ص262، ابن الأثير : الكامل،ج5 ص273ابن الآبار : الحلة السراء ، ج1ص64-65.
117-ابن الأثير : الكامل، ج5 ص337 ، مجهول : أخبار مجموعة ص56.
118-ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج1ص67، ابن عذاري : مصدر سابق ، ج1ص55-56.
119-ابن الأثير : الكامل، ج5 ص337-338 ، ابن خلدون : العبر، ج4 ص260.
120-ابن الآبار : الحلة السيراء، ج1 ص68.
121-ابن القوطية : افتتاح الأندلس ص40.
122-نفس المصدر والصفحة، ابن الآبار : الحلة السيراء، ج1 ص68.
123- دوزي:تاريخ مسلمي أسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف مصر ، ج11963ص169.
124-مجهول: أخبار مجموعة ص56.
125-ابن الأثير: الكامل،ج5 ص338، المقري: مصدر سابق، ج3 ص23.

126-ابن عذاري : مصدر سابق ، ج2ص50، مجهول : أخبار مجموعة ص57، المقري : نفع الطيب ، ص23-24 دوزي : مرجع سابق،ج1 ص171.
127-ابن الأثير الكامل،ج5 ص338-339، مجهول: أخبار مجموعة ص57.
128-ابن الأثير : الكامل ، ج5ص339 ، ابن عذاري : البيان المغرب ج2ص57.
129-ابن الأثير: الكامل، ج5ص339، المقري: تقع الطيب،ج3 ص24.
130-المقري : تقع الطيب ،ج3 ص 24 ،دوزي : مرجع سابق ، ج1ص173.
131- الحلة السيراء، ج1 ص68.
132- مجهول: أخبار مجموعة، ص57-60 ابن عذاري: البيان المغرب، ج2 ص51-54.
133- ابن الآبار: الحلة السراء، ج1 ص341-342، المقري: نفع الطيب، ج3 ص25، السلاوي، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب الدار البيضاء 1954،ج1 ص104.
134- مجهول: أخبار مجموعة ، ص57، ابن عذاري : البيان المغرب ، ج2ص52.
135- ابن خلدون: العبر،ج4 ص260، المقري: نفع الطيب ،ج1ص238.
136-ابن القوطية : مصدر سابق ص43، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ،ج1 ص122.
137-ابن الأثير : الكامل،ج5 ص375، ابن عذاري : البيان المغرب،ج2 ص52-53.
138-مجهول: أخبار مجموعة، ص59.
139-ابن عذاري: البيان المغرب ،ج2 ص53.
140-مجهول:.أخبار مجموعة ص58-60.
141-نفس المصدر والصفحة .
142-ابن عذاري : البيان المغرب ،ج2 ص53.
143-مجهول: أخبار مجموعة، ص59.
144-أن عذاري : البيان المغرب، ج2 ص53.
145-المقري: نقح الطيب، ج3ص25-27.
146-مجهول: أخبار مجموعة، ص59.

الفصل الأول

147-نفس المصدر ص59-60.
148-نفس المصدر ،ص61، دوزي: مرجع سابق ،ج1ص176حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، ص232.
149-ابن الأثير: الكامل، ج5 ص375، ابن عذاري: البيان المغرب، ج2 ص53.
150-مجهول: أخبار مجموعة، ص62-63، ابن عذاري: البيان المغرب ص54-62 ،دوزي : مرجع سابق ج1 ص177.